الإمام ولي الله الدهلوي (١١١٤هـ - ١١٧٦هـ)

ومنهجه في الدعوة والإصلاح

دراسة تحليلية

إعداد الدكتور

عبد الوهاب العروسي فرحات

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

جامعة البحرين

الإمام ولي الله الدهلوي (١١١٤هـ - ١١٧٦هـ) ومنهجه في الدعوة والإصلاح
دراسة تحليلية

عبدالوهاب العروسي فرحات

قسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية ، كلية الآداب، جامعة البحرين، البحرين.

البريد الإلكتروني: aferhat@uob.edu.bh

الملخص:

ولي الله الدهلوي أحد أعلام المسلمين الكبار في شبه القارة الهندية، الذين أسهموا بجهد مشكور في الدعوة الإسلامية، وإصلاح الفكر الإسلامي من الجمود الذي شلَّ حركته، حيث أسهم في إثراء هذا الفكر ومدِّه بزاد جديد يكفل له التجدّد، ويحقق له الملاءمة بين مراتب الدوام والتغيّر، إذ كان الرجل واعيا بالتحديات العقلانية الكبيرة التي ستواجه إنسان العهد الجديد.

وتتمحور إشكالية بحثنا حول ما مدى إسهام ولي الله الدهلوي في الدعوة والإصلاح؟ ويتفرع عن هذا التساؤل المركزي أسئلة فرعية وهي ما طبيعة العمل الذي قام به الدهلوي من أجل إحياء الفكر الإسلامي وإصلاحه؟ وما الجهد الذي قام به من أجل إصلاح النظام التعليمي؟ وما هي الإسهامات التي قام بها في مجال التوجيه والتغيير؟ وإلى من وجه مواعظه وخطبه؟ ولفك إشكالية هذا البحث وظفت المنهج: الاستقرائي والتحليلي.

الكلمات المفتاحية: الإمام – الدعوة – الإصلاح – التجديد – إصلاح العقيدة – التكامل بين العلوم – الدهلوي.

Imam Shah Waliullah Dehlawi (1114 AH - 1176 AH) and His Approach to Da'wah and Reform: An Analytical Study

Abdul Wahab Farhat
Department of Arabic Language and Islamic Studies, University of Bahrain, Bahrain
Email: asmaahamdy3002@gmail.com

Abstract:
Shah Waliullah Dehlawi is one of the prominent Muslim figures in the Indian subcontinent, who made significant contributions to Islamic da'wah and the reform of Islamic thought, which had been stagnating and impeding its movement. He played a pivotal role in enriching Islamic thought and providing it with a new vision that allowed it to adapt, ensuring a balance between continuity and change. He was acutely aware of the intellectual challenges that the people of the new era would face.
The core issue of our research revolves around the extent of Shah Waliullah Dehlawi contributions to da'wah and reform. This central question branches into several sub-questions: What was the nature of the work he undertook to revive and reform Islamic thought? What efforts did he make to reform the educational system? What contributions did he make in terms of guidance and social change? Who were the recipients of his sermons and advice? To address this research issue, I employed both inductive and analytical methodologies.

Keywords: Imam, Da’wah, Reform, Renewal, Reform of Muslim Creed, Integration of Sciences, Dehlawi.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصــلاة والســلام على ســيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّ الله خص الأمة الإســلامية بما لم يخص به أمة من الأمم منها: أنَّ هذا الدين الذي بلَّغه محمد – صــلوات ربي عليه- هو خاتمة الرســالات الســماوية، ومحمدا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، كذلك جعل أمته خير الأمم لأَمْرِها بالمعروف ونهيها عن المنكر، ولما كان الأمر هكذا هيأ الله أســبابا حققت حفظ هذا الدين، وصــانته من التحريف، وكان من جملة الأســباب أناس يحفظونه ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَــوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَــبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، (المائدة، الآية: ٥٤).

أهمية الدراسة:

من هؤلاء الأعلام الذين كان لهم حظ موفور في ســبيل حفظ الدين وتأييده، ونشــر الدعوة في أصقاع العالم، الإمام الدهلوي، الذي كانت له جهود في إصلاح الفكر الإسلامي، وفي ميدان التربية والتسليك الباطني، وإشعال مجامر القلوب. كما قدَّم الرجل مقاربات غير مسـبوقة لكثير من مشـاكل الأمة وهي مقاربات تتصـف بالشـمول والنظرة الكلية، لكن هذه الجهود، على الرغم من أهميتها، لم تنل حظها من الدراســة في العالم العربي، وتبرز أهمية الموضوع في النقاط التالية:

- أهمية إبراز جهود أعلام الدعوة الإسلامية في التمكين لهذا الدين على وجه الأرض ونشره في الآفاق ومن هؤلاء الأعلام الإمام الدهلوي.
- الوفاء لمن قاد المسيرة الفكرية والإصلاحية والدعوية طيلة حياته، واستطاع أن يخلِّف مكتبة إسلامية حرَّكت السواكن، وبعثت في الأمة روح الطموح والتجدّد والابتكار.
- قدرة الإمام الدهلوي على عرض نظام الإسلام بجميع جوانبه الفكرية والخلقية والشرعية والعمرانية عرضا مرتبا ومنسقا، بحيث يظهر اتصال بعض نواحيه ببعض، يتبين من خلالها أن الإسلام نظام شامل يوجِّه جميع مناشط الحياة، ويتخلَّل جميع شعبها، ولا يشذ عن دائرته نقير ولا قطمير.
- المكانة العلمية التي تبوأها في تاريخ أمتنا الفكري والروحي، إذ إن الرجل في الحقيقة شخصية هامة في مجال الدعوة والتجديد في شبه القارة الهندية.

أسباب اختيار الدراسة:

وقد دفعتني إلى اختيار هذا البحث أسباب يمكن تصنيفها إلى صنفين: أحدهما عام والثاني خاص.

الأسباب العامة:

وحاصلها كون الرجل علما من أعلام الدعوة الإسلامية الكبار الذي قدر لدعوته الانتشار والانتصار، ويكفي للدلالة على ذلك ما خلفه من آثار علمية اتسمت في مجملها بالأصالة والابتكار، وبخاصة في الدرس المقاصدي، وفي فلسفة العمران، ولعل منشأ هذه الأصالة يرجع إلى روح الاستقلال عنده والتي طبعت جميع مؤلفاته.

الأسباب الخاصة:

ويتلخص هذا الصنف من الأسباب: في رغبتي الذاتية لمعرفة سيرة الرجل ودعوته، إذ كنت منذ سنّ الشباب أشعر نحو هذا الإمام العظيم بشعور يمتزج فيه الإجلال، والتقدير

والمحبة، بعدما يسَّــر الله الاطلاع على رائعته "حجة الله البالغة "، فازددت إكبارا، وإعجابا بشخصيته الفذّة.

لهذه الأسباب ولغيرها اخترت دراسة حياة هذا الإمام العظيم "أحمد ولي الله الدهلوي" هذا العلم المفرد الذي يرجع له الفضل في إبقاء الفكرة الإسلامية، وحماية البيضة في شبه القارة الهندية.

صعوبات الدراسة:

ولقد واجهتني صعوبات جمة عند إعداد هذا الدراسة أهمها:

- هـذا الكم الهـائل للتراث العلمي الـذي خلفـه الـدهلوي، مـا بين مكتوب بـالفـارســية والعربية، بل أحيانا كان الدهلوي يمزج بين اللغتين في الكتاب الواحد، كما نجد ذلك في كتابه " التفهيمات الإلهية "، ولقد كان عائق اللغة هو العائق الأكبر، وبخاصــة أن الإمام الدهلوي كتب باللغة الفارسية القديمة.
- إن الحديث عن جهود الإمام الدهلوي الدعوية والإصــلاحية يحتاج إلى اســتقراء كامل لكل كتبه، وقد أخذ هذا من الباحث وقتا وجهدا غير قليل.
- صعوبة الوصول إلى بعض كتبه إذ هي ليست في متناول كل يد راغب، ذلك لأن جلّها لم تتجاوز حدود شـبه القارة الهندية، ولم يكتب لها الانتشـار في العالم العربي، بل أن بعض كتبه لازالت مخطوطة، والبعض الآخر لم يترجم بعد إلى اللغة العربية.
- صـعوبات ترجع إلى غموض أسـلوب الدهلوي، بل أحيانا اسـتغلاقه، كما نجد ذلك في كتابيه " الخير الكثير "، و"ألطاف القدس"

ولقد حاولت الدراسـة أن تتغلب عن هذا كله، وتنتهج نهجا علميا يعتمد على مناقشـة وتحليل آراء الرجل من خلال النصوص الثابتة.

إشكالية الدراسة:

الدعوة والإصلاح فعلان أصيلان في حركة الأمة الإسلامية، ورسالتها في الأساس دعوة إصلاحية: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[آل عمران: ١١٠]، ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾[هود: ٨٨]، ولا يمكن أن تتحقق هذه الخيرية إلا بالأمر بالمعرف والنهي عن المنكر ورأسها الدعاء إلى الإسلام، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لترصد مواقف عبد صالح من رجالات القرن الثامن عشر الميلادي، واجه حال التَّرهل والتجزئة، والتفتت والمذهبية والتعصّب بالإضافة إلى الأعداء الخارجيين الذين كانوا يتربصون بالأمة، ومن هنا، فإن السؤال الذي يواجهنا هو: ما هو العمل الدعوي الذي قام به الإمام الدهلوي لمواجهة هذا التردي الحضاري؟ ويتفرع عن هذا التساؤل المركزي أسئلة فرعية وهي:

- ما طبيعة العمل الذي قام به الدهلوي من أجل إحياء الفكر الإسلامي وإصلاحه؟
- وما الجهد الذي قام به من أجل إصلاح النظام التعليمي؟
- وما الإسهام الذي قام بها في مجال التوجيه والتغيير؟ وإلى مَن وجَّه مواعظه وخطبه؟

ولاريب أن الإجابة عن هذه الأسئلة تسهم إلى حد كبير في إبراز مميزات الجهود الدعوية والإصلاحية التي أتى به الدهلوي في ميدان الدعوة، وإصلاح الفكر الإسلامي.

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية سوف تقتصر الدراسة على دراسة الأفكار الدعوية والإصلاحية للإمام الدهلوي التي ستكون بمثابة إجابة لأسئلة الدراسة وذلك من خلال المصادر المطبوعة والمتوفرة في المكتبات.

أهداف الدراسة:

- التعريف بالإمام ولي الله الدهلوي، وجهوده في الدعوة إلى سبحانه.
- الوقوف على الأساليب التي وظفها الدهلوي في الدعوة إلى الله.
- بيان منهج الإمام الدهلوي في تقرير قضايا الدعوة.
- استقصاء جهود الإمام الدهلوي الدعوية والإصلاحية، وذلك بجمع ما تناثر في الكتب والمقالات الأكاديمية المؤلفة عنه.

الدراسات السابقة:

أما **الدراسات السابقة** التي كتبت عن الإمام الدهلوي – رحمه الله–

- فأولها الدراسة القيّمة التي كتبها العلامة أبي الحسن الندوي، وهي الجزء الرابع من كتابه " رجال الفكر والدعوة في الإسلام "، وظهر باسم "الإمام الدهلوي"[١]، وهي من أهم ما كتب عن الإمام الدهلوي، تناول فيها الندوي جوانب من حياة الدهلوي وعصره، كما بيَّن فيها جوانب من تجديد الرجل لمنظومة الفكر الإسلامي، كما سلَّط أضواء عن حركته ودعوته الإصلاحية، والندوي شديد الاحتفاء بالإمام الدهلوي في سائر كتبه، لكن هذه الدراسة على أهميتها تشير إلى الخطوط العريضة لمشروع الدهلوي، ولا تتعرض لهذا المشروع بالتفصيل والتحليل الشامل لمجموع فكره الإصلاحي الدعوي، فكأنه يدعو – رحمه الله – من يأتي بعده إلى إكمال ما بدأه بالتعميق والإثراء وهو ما يركز عليه بحثنا هذا.
- أما الدراسة الثانية فهي للدكتور محمد الغزالي والموسومة " The Socio-Political Thought of Shah Wali Allah"[٢]، وهذه الدراسة تكشف عن فلسفة الإمام الدهلوي

(١) – أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، (الإمام الدهلوي)، (ط١. الكويت: دار القلم ١٩٨٥م، ج٤).

(2) - Al-Ghazali ،Muhammad: The Socio-Political Thought of Shah Wali Allah: (Pakistan. Islamic Research Institute Press ،2001.347p).

الاجتماعية التي سماها "بالإرتفاقات "، وهي تفصل القول في آداب المنزل، وآداب الاجتماع، وسياسة المدن، والعدالة، وضرب المحاصيل، والإدارة، والتنظيم العسكري، ويلمع إلى أسباب خراب العمران البشري، وهي في الحقيقة دراسة جادة، وقد أفادتنا كثيرا في فهم فلسفة العمران عند الدهلوي، لكن الباحث لم يستعرض فيها دور الإمام الدهلوي في الدعوة، وما قام من أعمال جليلة في نشر العقيدة الصحيحة، وما كان له من جهود في إحياء النهضة العلمية في شبه القارة الهندية، ولم يعرض ما كان للدهلوي من دور بارز في قول الحق، ونصح الحكام والأمراء والقادة العسكريين.

- أما الدراسة الثالثة فهي ما كتبه طارق لعجال بعنوان: "تجارب التأصيل في الفكر الإسلامي بجنوب آسيا – تجربة الإمام الدهلوي أنموذجا- "[1]، حيث تحدث الباحث فيها عن بعض الجوانب الفكرية والدعوية عند الإمام الدهلوي، لكن كما هو واضح فإن البحث يركز على تجربة التأصيل عند إمامنا، ويهتم بهذا الجانب فقط.
- أما الدراسة الرابعة فهي ما كتبه العلامة مسعود الندوي في كتابه " تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند "[2]، حيث ترجم له ضمن أعلام آخرين "كالشيخ أحمد السرهندي "، و"أحمد البريلوي الشهيد "، حيث قسَّم المؤلف أعمال الدهلوي إلى قسمين رئيسيين: قسم يتعلق بتنقيح النظريات والأفكار. أما القسم الثاني فهو للإصلاح والتربية وفي هذا القسم يرى المؤلف أن الدهلوي اجتهد في أن يعرض النظام الإسلامي عرضا صحيحا شاملا

(١) - لعجال طارق، تجارب التأصيل في الفكر الإسلامي بجنوب آسيا – تجربة الإمام الدهلوي أنموذجا- مقال منشور، في مجلة الإسلام في آسيا، الصادرة عن الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا – (المجلد ٠٥، العدد ٠٢، شهر ديسمبر سنة ٢٠٠٨ م).

(٢) – مسعود الندوي، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، (ط١. بيروت: دار العربية (د، ت))، ص ١٢٩-٢٠٦.

لجميع جوانبه وأجزائه مع ترابطها، وحفظ نسبها ومواقعها وهنا تكمن عبقرية الإمام الدهلوي وهو العمل الذي قد فاق كل من تقدمه من المصلحين، والواقع أن هذه الدراسة لها فضلها في التنبيه إلى جوانب من فكر الدهلوي الدعوي، لكن تناولاته كانت تناولات سريعة ومقتضبته اقتضتها موضوعات الكتاب، وتعدد الشخصيات التي تناولها إلى جانب الإمام الدهلوي.

- أما الدراسة الخامسة فهي ما كتبه نثار أحمد الفاروقي "مجهودات الشاه ولي الله الدهلوي في التقريب بين المذاهب الإسلامية" [١]، تعرض فيها الباحث لجانب هام في مشروع الإمام فقط، ولا تتعرض بالتفصيل والتحليل الشامل لمجموع الجهود الدعوية والإصلاحية لولي الله الدهلوي، وهو الذي تركز عليه دراستنا هذه.
- كما كتب علي أحمد غلام محمد الندوي مقالتين طريفتين، نشرهما في مجلة البحوث والدراسات الشرعية، أما الأولى فهي هي "ملامح حياة الإمام شاه ولي الله الدهلوي[٢]، أما الثانية فهو عن نظرية " الارتفاقات"[٣].

هذه أهم المصادر التي تحدثت عن آراء الإمام الفكرية، وجهوده الدعوية التي رجعنا إليها أثناء إعداد هذه الدراسة لكن حسب هذه الدراسات أنها قدمت مادة تمهيدية صالحة

(١) – نثار أحمد الفاروقي، مجهودات الشاه ولي الله الدهلوي في التقريب بين المذاهب الإسلامية، مقال منشور في مجلة ثقافة الهند، (المجلد ٤٤، العدد٣-٤، عام ١٩٩٣م).

(٢) – علي أحمد غلام محمد الندوي: "ملامح حياة الإمام شاه ولي الله الدهلوي العلمية المتجلية في مؤلفاته ومآثره واجتهاداته، مقال منشور في مجلة البحوث الإسلامية، العدد ١٧ أبريل، السنة الثالثة، عام ٢٠١٧م.

(٣) – علي أحمد غلام محمد الندوي: "الارتفاقات – مفهومها وآفاقها عند الإمام الدهلوي ومدى صلتها بمقاصد الشريعة" – مقال منشور في مجلة البحوث والدراسات الشرعية، مج٨، عدد٧٥، يونيو عام ٢٠١٨.

لأن تكون أساسا للترقية والتعميق والإثراء، والحقيقة أن هناك العديد من الكتب والرسائل الجامعية، والمقالات الأكاديمية التي قدمت معلومات طريفة ومبتكرة كشفت لنا جوانب تستحق الاهتمام في فكر الإمام الدهلوي، لكن مالا يدرك كله لايترك جله كما يقال.

منهج الدراسة:

أما المنهج الذي سرت عليه في الدراسة فهو المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي أما الاستقرائي فقوامه تتبع الجزئيات للوصول للنتيجة، وهو يعتمد بالأساس على إيراد نصوص المؤلف نفسه، ولذلك أكثرنا من الاقتباسات من كتابات الإمام الدهلوي وبخاصة كتابيه: " حجة الله البالغة، و"التفهيمات الإلهية " لأن هذا من شأنه أن يضفي صفة الموضوعية التي هي سبيل الباحث لكشف الحقيقة.

أما المنهج التحليلي فهو يقوم على فهم الأفكار بتحليل عناصرها، وتبيّن حقيقتها دون أن نغفل عن إبراز منازع التأصيل في آراء الدهلوي، سعيا منا على تبيان هذه الأفكار في إطار الوحي محققين للغرض الذي ندبنا أنفسنا له، وهو الإسهام في إبراز الجهود الإصلاحية، والدعوية عند هذا الإمام.

خطة الدراسة:

تتكون خطة البحث من: مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة: تشتمل على النتائج والتوصيات.

المقدمة: وتشمل:

- أهمية الدراسة.
- أسباب اختيار الدراسة.
- صعوبات الدراسة.

- إشكالية الدراسة.
- حدود الدراسة.
- أهداف الدراسة.
- الدراسات السابقة.
- منهج الدراسة.
- خطة الدراسة.

التمهيد: وفيه:

أولا: المولد والنشأة:

ثانيا: جلوس الإمام الدهلوي للتدريس والإفادة.

ثالثا: دنو الأجل ووفاة الإمام الدهلوي.

المبحث الأول: جهود الإمام الدهلوي الدعوية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تجربة الإمام الدهلوي في الإصلاح والتأصيل الفكري.

المطلب الثاني: الاهتمام بإصلاح العقيدة والدعوة إلى التوحيد.

المطلب الثالث: فصل التقاليد والعادات عن جوهر الإسلام.

المطلب الرابع: الجمع والتقريب بين المذاهب الإسلامية.

المبحث الثاني: جهود الإمام الدهلوي الإصلاحية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إصلاح المنهاج التدريسي.

المطلب الثاني: ترجمة معاني القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الدعوة إلى التكامل بين العلوم الإسلامية ومحاربة النزعة الذرية.

المطلب الرابع: نظرية الارتفاقات.

المبحث الثالث: جهود الإمام الدهلوي في فن التوجيه والتغيير.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الوعظ والإرشاد والتذكير.

المطلب الثاني: إحياء الربانية أو الدعوة إلى علم الإحسان.

المطلب الثالث: التأكيد على عقيدة ختم النبوة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

يعد الإمام الدهلوي "أحد آخر كبار المعلمين في الإسلام"[١] كما يقول شاعر الإسلام الكبير "محمد إقبال" بحق، ويشاركه الرأي العلامة المودودي الذي يقول فيه: " إن الإمام ولي الله –ولاريب– من زعماء التاريخ الإنساني الذين يعالجون مرتبك الأفكار، ومتشابك الآراء فيجلون غامضها ويحلون معقدها، ويضعون للفكر والنظر الإنساني نهجا واضحا مستقيما "[٢].

تشهد على ذلك كتبه وبخاصة "حجة الله البالغة" الذي يعد مأثرة من مآثر الرجل، ومظهرا من مظاهر نبوغ المؤلف ودقة نظره، ورحابة أفقه، والكتاب فيه ما فيه من الأفكار الطريفة، والتحقيقات الجديدة والاستنباطات اللطيفة التي تدل على علو كعب صاحبه في المعارف الإلهية، ومكانته الممتازة في مجالي التحقيق والتدقيق.

أولا: المولد والنشأة:

ولد أحمد في دهلي بالهند في عام ١٧٠٢م، ونشأ في بيت والده "عبد الرحيم" [٣]الذي

---

(١)– د. فيشر، حركة الإصلاح في القارة الهندية تجاه الاستعمار الإنجليزي، محاضره ألقيت ضمن كتاب (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة مجموعة بحوث مؤتمر برينستوف بواشنطن ١٩٥٣ م)، ص ٣.

(٢) – أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، ترجمة: محمد سباق، (ط١، باتنة: مكتبة الشهاب ١٩٨٨م)، ص ١٠٢.

(٣) - كان من وجوه مشائخ دلهي ومن أعيانهم، له حظ وافر من العلوم الظاهرة والباطنة، انتهت إليه فضيلة الورع وحسن السمت، ويمكن تقدير مكانته العلمية أن الملك أورنك زيب عهد إليه القيام بمراجعة " الفتاوي الهندية"، كما يعد الشيخ من كبار أئمة النقشبندية، توفي عام ١٠٣٣ هـ، وقيل عام ١٠٣١هـ. انظر في ترجمته: الشيخ عبد الحي، الإعلام بمن في الهند من الأعلام، (مرجع سابق)، ج٦، ص ٧٤٧.

كان عالما كبيرا، و تذكر المصادر التاريخية[١] أنه شارك في وضع "الفتاوى الهندية" التي أمر السلطان "عالمكير"[٢] بتدوينها.

كما تذكر كتب التراجم أن الشيخ عبد الرحيم جمع إلى الفقه "علم السلوك"، ويُذكر أنه كان من رجالات التربية، والتهذيب الباطني في عهد الدولة التيمورية.

ويحدثنا السيّد حسن خان القنوجي "في أبجد العلوم"عن بيت الإمام الدهلوي فيقول: "كان بيته في الهند بيت علم ودين وهم كانوا مشايخ الهند في العلوم النقلية، بل العلوم العقلية، أصحاب الأعمال الصالحات، وأرباب الفضائل الباقيات، لم يعهد مثل علمهم بالدين علم بيت واحد من بيوت المسلمين في قطر من أقطار الهند، وإن كان بعضهم قد عرف بعض علم المعقول وعُدَّ على غير بصيرة من الفحول، ولكن لم يكن علم الحديث، والتفسير، والفقه، والأصول وما يليها إلا في هذا البيت لا يختلف في ذلك من موافق، ولا مخالف إلا من أعماه الله عن الإنصاف ومسَّته العصبية والاعتساف "[٣].

---

(١)- ينظر: عبد الحي الحسني، الثقافة الإسلامية في الهند، (ط٢. دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق١٩٨٣م)، ص١١١.

(٢) - هو أبو المظفر محيي الدين محمد ولدعام ١٠٢٨هـ، حكم الهند خمسين عاما، عرف فيها بجلده، وبتقشفه، وحرصه على تطبيق الشريعة الإسلامية، بلغ من تقواه أنه حين حضرته الوفاة أوصى بأن يُدفن في أقرب مقابر للمسلمين وألا يعدو ثمن كفنه خمس روبيات، توفي سنة ١١١٨هـ أنظر في ترجمته: عبد الحي الحسني، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، (مرجع سابق)، ج٦، ص٧٣٧-٧٤٣؛ سيد حسين العفاني، زهر البساتين من مواقف العلماء الربانيين، ط١. القاهرة: دار العفاني، (د، ت)، ج٢، ص٩٨-١٠٨؛ أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ط١. القاهرة: مكتبة الآداب، (د، ت)، ج٢، ص١٠٣ وما بعده.

(٣) - نقلا عن: عبد الحي الحسني، الإعلام بمن في الهند من الأعلام، (مرجع سابق)، ٥: ٨٦٢.

تربى الصبي في كنف والده، فحفظ القرآن الكريم، وهو في السابعة من عمره، كما تعلم اللغتين الفارسية والعربية، كما تلقى العلوم الشرعية من فقه وحديث... والعلوم الحكمية أيضا من فلسفة، وطب، ومال إلى التصوف بحكم التنشئة، والتأثر بالوالد ومن مكان الولادة حتى أوشك هو أن ينشأ على صناعة أبيه.

ثانيا: جلوس الإمام الدهلوي للتدريس والإفادة:

وبعد وفاة والده في سنة ١٧١٩م جلس للتدريس والإفادة، وهو في سن مبكرة، يشفع له في ذلك نبوغه وعبقريته، وتمكنه من العلوم الشرعية والحكمية إلى حد الاستبداد، فأقبل عليه الطلاب من كل حدب وصوب يتلقون منه الفقه والحديث، وبعد أن أمضى اثني عشر عاما رحل إلى الحجاز ليلزم الحرم المكي، وليلتقي بشيوخ مكة والحرم وفقهائها ومحدثيها، فروى عنهم وتتلمذ على أيديهم، وأجازوه برواية الحديث ثم عاد إلى بلده في أوائل ١٧٣٢م ليستأنف حياة الدرس والتأليف، بل وصقل الأرواح وتهذيب النفوس والاتجاه بها إلى الله عز وجل، فنفع الله به خلقا كثيرا استفادوا منه فوائد من العلم والتزكية، والربانية الصادقة تجملت بمآثرهم بلاد الهند.

ثالثا: دنو الأجل ووفاة الإمام الدهلوي:

وبعد حياة حافلة بالجد، والاجتهاد انتقل الإمام الدهلوي إلى الرفيق الأعلى تشيِّعه أنواع الحفاوات والتكريمات، وكان ذلك في(٢٦ من المحرم ١١٧٦ ه)، الموافق(٢٠ أوت ١٧٦٢م)، تاركا أربعة من أبنائه العلماء وهم: شاه عبد العزيز الدهلوي[١]، وشاه عبد

(١) - ينظر في ترجمته: عبد الحي الحسني، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، (مرجع سابق)، ج٧، ص١٠١٤- ١٠١٨؛ سيد حسين العفاني، زهر البساتين من مواقف العلماء الربانيين، (مرجع سابق)، ج٢، =

القادر[١]، وشاه عبد الغني[٢]، وشاه رفيع الدين[٣].

وقد أثنى على جهودهم الدؤوبة في خدمة السنة ونشر الحديث الجلّة من العلماء نخص منهم " عبد الحي الكتاني " الذي يقول عنه: " أحيا الله به، وبأولاده، وبأولاد بنته، وتلاميذهم الحديث والسنة بالهند بعد مواتها، وعلى كتبه وأسانيده المدار في تلك الديار "[٤].

ولعل هذا الأثر الخالد لا يزال يلمس لحد الآن رغم كساد السوق، ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن درس الصحاح السنة، وتدريسها في الهند مدين كلِّيا لخدمتهم، ويرجع أصله إلى عهدهم، وقد بذل أبناؤه البررة، حياتهم كلها في خدمة هذا العلم و نشره.

ص١٧٤-١٧٨؛ محمد محسن الترهتي، اليانع الجني من أسانيد الشيخ عبد الغني، (مرجع سابق)، ص١٤١-١٤٩؛ محمد طاهر، نيل السائرين في طبقات المفسرين، (مرجع سابق)، ص٤١٣-٤١٥.

(١) - ينظر في ترجمته: عبد الحي الحسني، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، (مرجع سابق)، ج٧، ص١٠٢٧- ١٠٢٨؛ محمد طاهر، نيل السائرين في طبقات المفسرين، (مرجع سابق)، ص٤١٠-٤١١.

(٢) - ينظر: عبد الحي الحسني، الثقافة الإسلامية في الهند، (مرجع سابق)، ص١٠٤؛ وبنظر أيضا: ص١١٩.

(٣) - ينظر في ترجمته: عبد الحي الحسني، الثقافة الإسلامية في الهند، (مرجع سابق)، ص٤٧، ص١٦٩، ص٢٣٩، ص٢٤٣، ص١٩٣، ص١٩٦، ص٢٤٣، ص٢٦٥، ص٢٥٥، ص٢٥٨، ص٤٧، ص١٤٦؛ وبنظر أيضا: عبد الحي الحسني، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، (مرجع سابق)، ج٧، ص٩٧٤-٩٧٦. محمد محسن الترهتي، اليانع الجني من أسانيد الشيخ عبد الغني، (مرجع سابق)، ص١٤٤.

(٤) - عبد الحي الكتاني، معجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، (مرجع سابق)، ٢: ١١٢٢.

المبحث الأول

جهود الإمام الدهلوي الدعوية.

وفيه أربعة مطالب:

إن الأعمال الدعوية الجبارة والتي وفق الله تعالى الإمام الدهلوي لتحقيقها، وإنجازها تشتمل على نشر الكتاب والسنة، وإصلاح العقائد، وتمييز العادات والتقاليد عن جوهر الإسلام، ولمِّ شمل الأمة المرحومة وتجسير فجوة الخلاف بين المذاهب الإسلامية، هذا هو الدور الذي اضطلع به إمامنا في عهد اتسم بالاضطراب السياسي، واحتضار الدولة الإسلامية في الهند، وانتشار الجهل والأمية بالإضافة إلى سيادة روح الخمول والاتكالية، وإساءة فهم بعض المفاهيم الإسلامية كمفهوم الزهد، و التوكل، و العبادة، و عقيدة القضاء والقدر، واختلاط بعض هذه المفاهيم بمفاهيم التصوف الأعجمي.

كما غرق الناس في مذهبية ضيِّقة باتباع علماء مذهبهم من المؤلفين المتأخرين خاصة، فأورث ذلك تحجرا وجهلا بأدلة الكتاب والسنة، وعصبية رعناء تجاه المذاهب الأخرى.

ومما زاد الأمر بلّة توقف ميدان الاجتهاد، والاكتفاء بالتخريج عن التخريج مما نأى بالفقهاء عن التفكير في إيجاد الحلول للمشكلات المستجدة بما يناسب مع روح الشريعة، ومقاصدها الكلية المتجلِّية في نصوصها السمحة.

والمتأمل في كتب الدهلوي، يشعر أن حركة الدهلوي التغييرية في ميدان الفكر الإسلامي، كانت استجابة لواقع بيئته، هذا الواقع هو الذي حدد للإمام مناحي تفكيره، ورسم له المهمة، أو الرسالة التي ينبغي أن يوقف عليها هذا التفكير، ونوجز ملامحه فيما يلي:

المطلب الأول: تجربة الإمام الدهلوي في الإصلاح والتأصيل الفكري:

فلقد أخذ الدهلوي على نفسه ألا يقبل أي رأي أو عمل مهما كان مصدره إذا كان مخالفا للمبادئ الإسلامية، حيث بنى طريقته كما يقول "صديق حسن خان": "على عرض المجتهدات على السنة والكتاب، وتطبيق الفقهيات بهما على كل باب، وقبول ما يوافقهما من ذلك ورد ما لا يوافقهما كائنا ما كان، ومن كان"[1]، فلا اعتبار لديه للوجدانيات، والمجتهدات، إلا إذا وزنت بميزان الكتاب والسنة، فإذا عارضته ردَّت، وإذا قررت أشياء سكت عنها الكتاب والسنة، فلا يخاطب بها الناس إذا كانت مما لا تحتمله عقولهم، فضلا على أن يطالبوا باعتقادها، وهو بهذا المعنى لمفهوم التأصيل نأى بنفسه عن خطل التجميد والتبديد.

لقد ابتعد عن التجميد لأنه لم يناد إلى العودة إلى الأصول فحسب، كما فعل غيره من معاصريه، دون اعتبار للمتغيرات الاجتماعية، وما طرأ على الفكر الإنساني من تطور، مغفلا التحديات العقلانية الكبيرة التي ستواجه إنسان العهد المقبل.

كما نأى بنفسه عن التبديد الذي يهدر قدسية النصوص الشرعية، وذلك بتأويلها دون اعتبار لمقاصد الشارع، كما يفعل المفكرون الجدد.

ولذلك وضع الشاه ولي الله منهجا يسدّد الاستمداد من النصوص الشرعية، ويعصمها من الانحراف ذات اليمين أو الشمال، ويمكن أن يُلاحظ – في منهجه – مسلكان مهمان:

المسلك الأول: الوصل بالأصل:

وقد تبدَّى في مستويين اثنين: اهتم فيهما الدهلوي بالقرآن الكريم في المستوى الأول، بينما اهتم في المستوى الثاني بالسنة الشريفة.

---

(١) – صديق حسن خان، الحطة في ذكر الصحاح الستة،(ط١. بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٨٨م)، ص١٤٧.

المستوى الأول: الاهتمام بالقرآن الكريم:

حيث دعا الإمام إلى دراسة القرآن مباشرة، وهو أول من قام بحركة موسعة لفهم القرآن الكريم. وأقوى خطوة خطاها الإمام هو عمله على ترجمة القرآن للفارسية، حيث كانت بيئته وقتذاك لا تسمح بالقيام بهذا العمل، حيث حمل على عاتقه هذا العبء، وقدم ترجمة كاملة لمعاني القرآن الكريم التي هي على حبل الذراع لمن يريد وسماها " فتح الرحمن " وهذه البادرة كانت نقطة انطلاق لتمتين علاقة عامة الناس بالقرآن الكريم، وهو ما عبر عنه "عبد الماجد الدريابادي" إذ يقول: " إن الحديث عن فهم القرآن الكريم الذي نجده اليوم، وهذه الترجمات التي صدرت بعشرات اللغات من الأردية والإنكليزية واللغات الأخرى، يكتب الجزء الأكبر من أجور ذلك في حسنات الإمام الدهلوي، إذ تنورت هذه المصابيح كلها من المصباح الذي كان أوقده الإمام الدهلوي"[١].

ولقد حاول – رحمه الله – أن يعيد قراءة القرآن، كما قرئ في عصر البعثة، إذ أزاح شيئا من التفاسير التي حجبت الناس عن روح القرآن، إذ حاول أن يرى النص القرآني دون وسائط تمنع هداياته من الوصول الى النفوس المستعدة لذلك، آية ذلك ما كتبه في أحد وصاياه: " وصية هذا الفقير: هو الاعتصام بالقرآن والسنة في العقيدة والعمل، والمواظبة على تدبّر ما جاء فيهما، والاهتمام بقراءة جزء منهما كل يوم. وإن لم يستطع القراءة، فيستمع لترجمة ورقة من كليهما على الأقل"[٢].

(١) – نقلا عن: أختر الواسع، الشاه ولي الله الدهلوي نابغة العصر وعبقري الزمان، مقال منشور في مجلة البعث الإسلامي، الصادرة عن ندوة العلماء بالهند، (العدد٠١، المجلد ٦٨– جمادي الأولى عام ١٤٤٣هـ)، ص٧٠.

(٢) – ولي الله الدهلوي، المقالة الوضيئة في النصيحة والوصية، تر: محمد بشير السيالكوتي، وقد نشره في كتابه: الإمام المجدد المحدث – الشاه ولي الله الدهلوي – حياته ودعوته، (ط١. بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٩م)، ص٢٠١

وهكذا شدّد الإمام الدهلوي على ضرورة التعامل مع القرآن مباشرة، أما التفاسير فهي مرتبطة بالسقف المعرفي للمفسّر، وبالتراكم الثقافي له، ولم يقبل الشاه من التفاسير، كما بيّنا ذلك في النص السابق إلا بحدود ما يسمح لفهم المعاني الغريبة. وهكذا فتح الشاه منهجا جديدا لتدبر القرآن يقوم على التأويلية ذات الحركة المزدوجة وهي حركة تراوح بين السياق التاريخي، أو ما يسميه المتصوفة" التنزيل "، والسياق الخاص بالقارئ، أو ما يسمى "بالتنزّل " حيث بميز القارئ في هاته المرحلة بين الفهوم التي أحاطت بالنص القرآني عبر التاريخ، وبين فهم اللحظة التي يعيش فيها القارئ.

المستوى الثاني: الاهتمام بالحديث النبوي والقيام بترويجه:

ولما كان ميزان العلوم قد اختل في الهند في زمانه لصالح العلوم العقلية والآلية، بطغيان حكمة اليونان ومنطقها، فقد عالج الإمام ولي الله هذا الاختلال بصرف جل اهتمامه بنشر الحديث، وإحياء علومه بعد اندراسها حينا من الدهر، فأرسى بجهوده الدؤوبة قواعد التحقيق، وفتح للناس آفاقا جديدة لفهم السنّة المشرفة، وهي معاني أكدها صديق حسن خان بقوله: "ثم جاء الله -سبحانه وتعالى-من بعدهم بالشيخ الأجل والمحدث الأكمل ناطق هده الدورة وحكيمها وفائق تلك الطبقة وزعيمها الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي المتوفى سنة ست وسبعين ومئة وألف، وكذا بأولاده الأمجاد، وأولاد أولاده أولي الإرشاد المشمرين هذا العلم عن ساق الجد والاجتهاد فعاد لهم علم الحديث غضا طريا بعد ما كان شيئا فريا، وقد نفع الله بهم وبعلومهم كثيرا من عباده المؤمنين، ونفى بسعيهم المشكور من فتن الإشراك والبدع ومحدثات الأمور في الدين ما ليس بخاف على أحد من العالمين فهؤلاء الكرام قد رجحوا علم السنَّة على غيرها من

العلـوم وجعلـوا الفقـه كالتـابع لـه والمحكـوم، وجـاء تحـديثهم حيـث يرتضـيه أهـل الروايـة ويبغيـه أصـحاب الدرايـة، شـهدت بـذلك كتـبهم وفتـاويهم، ونطقـت بـه زبـرهم ووصـاياهم ومـن يرتـاب في ذلـك فليرجـع إلـى مـا هنالـك فعلـى الهنـد وأهلهـا شـكرهم ما دامت الهند وأهلها"[١].

ولقـد حقـق الإمـام الـدهلوي نجاحـا بـاهرا في نشـر الحـديث النبـوي، إذ بفضـله وبفضـل خلفائـه الـذين يتصل إسـنادهم بـه، ازدهـرت علـوم القـرآن، والسـنة النبويـة، وتضـوعت ريحهـا في جنبـات الهنـد، وغيرهـا مـن بلـدان العـالم الإسـلامي، وهـو معنـى لمحـه محمـد عبـد العزيـز الخـولي إذ يقـول في كتابـه "تـاريخ فنـون الحـديث النبـوي": " ولا يوجـد في الشـعوب الإسـلامية علـى كثرتهـا، واخـتلاف أجناسـها، مـن وفىَّ الحـديث قسـطه مـن العنايـة، في هـذا العصـر مثـل إخواننـا مسـلمي الهنـد، أولئـك الـذين وجـد بيـنهم حفـاظ للسـنة، دارسـون لهـا علـى نحـو مـا كانـت تـدرس في القـرن الثالـث، حريِّـة في الفهـم، ونظـر في الأسـانيد.... وإن أسـاس تلـك النهضـة في الـبلاد الهنديـة أفـذاذ أجـلاء تمخضـت بهـم العصـور الحديثـة، انتهجـوا في تحصـيل العلـوم نهـج السـلف. فنبُـهَ شـأنهم، وعـلا أمـرهم، وذاع صـيتهم، وتكونـت جمعيـات سـلكت سـبيلهم، وعملـت علـى نشـر مبـادئهم. فكـان لهـا ذلـك الأثـر الصـالح، والسـبق الواضـح، ومـن أشـهر هـؤلاء الأعـلام ولـي الله الـدهلوي، صـاحب التصـانيف في اللغتين العربية والفارسية"[٢].

(١) – صديق حسن القنوجي، الحطة في ذكر الصحاح الستة، (مرجع سابق)، ص١٤٦-١٤٧.

(٢) ـــ محمد الخولي، تاريخ فنون الحديث النبوي، تح: محمود الأرناؤوط وآخرون، (ط١، دمشـق: دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ)، ص٢٩٣.

المسلك الثاني: تشكيل منهاج التعامل مع الأصلين:

وقد تجلت فيه ركيزتان اثنتان، الأولى الجمع بين الثبات والتطور في فهم الشـريعة، والثانية استقصاء علل الأحكام وحِكَمِهَا:

الركيزة الأولى: الجمع بين الثبات والتطور:

فلقد رأى الإمام الدهلوي أن الشـريعة ثوابت ومتغيرات، فالثوابت هي الأصـول التي وردت في النصـوص الشـرعية والتي لا تقبل التغير ولا يطالها التبديل، أما المتغيرات فهي كيفيات تنزيل تلك الأصـول في الواقع بما يتماشـى مع الظروف الزمكانية، ولما كانت هذه الجنبة متطورة متبدلة دعا الإمام إلى إعادة فتح باب الاجتهاد من جديد، لكي يضمن للإسلام التلاؤم مع العصـر الحديث، والحقيقة أن الإسـلام المعاصـر في أمس الحاجة إلى إعادة فتح هذا الباب إذا أردنا أن يظل الإسـلام إحدى القوى الروحية الموجهة في المسـتقبل، ذلك أنه بمبدأ الاجتهاد الذي شـرعه يتحقق التوفيق بين مراتب الدوام والتغير بما يسـتتبع من توافق الفكر والسلوك.

وهناك عمل آخر قام به الشـاه يلحق بمناداته بفتح باب الاجتهاد، هو تمييزه بين الشـريعة الغراء الموحى بها وأعمال الفقهاء والمجتهدين المرتبطة بأزمانهم وأمكنتهم، وليست هاته العملية عديمة الجدوى إذ أنها محاولة ترمي إلى نزع القداسة عن كم هائل من الفتاوي تراكم على مدى أزمان متطاولة، وما ذلك إلا اعتقادا منه أن آراء الفقهاء اجتهاد بشـري ولا يمكن بأية حال من الأحوال أن تغلق الباب أمام اجتهادات فقهاء آخرين لهم الأهلية والقدرة على الاجتهاد، ولا شك أن هذا العمل لبنة أساسية نحو فتح باب الاجتهاد الذي دعا إليه الشيخ فيما بعد.

الركيزة الثانية: استقصاء علل الأحكام وحِكَمِهَا:

إذ الشريعة في تصور الإمام الدهلوي معقولة المعنى؛ لذا كان البحث عن علل الأحكام

وحكمة التشريع ديدنه كما تشهد على ذلك مؤلفاته وبخاصة كتابيه "حجة الله البالغة "، و" البدور البازغة "، وكان يرى أن هذا أمر ضروري لتَفَهُّم لميّات أحكام الشرع وأبعاده، وعدم الاقتصار على التمسك بظواهر النصوص. وهو بهذا العمل الفذ يسد نقصا يعاني منه المتطلع إلى معرفة نظام الاجتماع الإسلامي. ولعل هذا ما حدا به إلى تقديم نظرية منهجية وهي " الارتفاقات"[١] لتطوير النواحي الاجتماعية والاقتصادية للأمة، ولذلك جاءت كتاباته مشبعة بقيم سياسية عليا من مثل العدل والشورى.

والحقيقة أن المأثرة الكبيرة من مآثر الشاه التي خلفها هي عنايته البالغة بالأهداف والغايات الحضارية العمرانية والأبعاد الأخلاقية السلوكية في التشريع الإسلامي؛ وإحيائه للدرس المقاصدي حيث جعل منه سلما لإعادة تجديد الدين، وتخليصه من الشوائب التي لحقت به، وعملت على شل حركته.

ولا نعدو الصواب إذا قلنا إن الإمام الدهلوي بكتابه "الحجة " سبق عصره في الحديث عما يسمى روح القانون، وهذا باهتمامه بمقاصد الشريعة، وسلوكه في علم الفقه ذلك المسلك، وخروجه عن الجمود والتقليد المذهبي. وما ذلك إلا لمواجهة مشكلات الواقع، وإيجاد حلول لها من خلال اجتهاد متفاعل يجمع بين فقه الواقع المستند إلى طبائع العمران البشري، والقيم التوجيهية العليا المكتنزة في نصوص الوحي.

(١) – وهي اشتراك أفراد النوع الإنساني في الانتفاع بعضهم من بعض والتعاون فيما بينهم، والمشاركة في العمل، والتدابير النافعة لإنشاء حياة مدنية معتدلة متزنة.

المطلب الثاني: الاهتمام بإصلاح العقيدة والدعوة إلى التوحيد:

أولى الإمام الدهلوي العقيدة اهتماما بارزا في مشروعه التجديدي وبخاصة مسألة إعادة الثقة بالرسالة المحمدية وحاجة الناس إليها، وترسيخ هذه العقيدة في سويداء النفوس.

والحقيقة أنها مأثرة الإمام العظمى التي تدور عليها جميع مساعيه الإصلاحية، حيث بيّن في كتابه " حجة الله البالغة "- والذي يعد كتابا في "علم الكلام الجديد"- إن الإسلام يتوافق ويتناغم مع الطبيعة البشرية ولا يتعارض معها، ولذلك اعتبر الدهلوي أن إعجاز القرآن يتجلى في هذا الجانب حيث يقول: " ومن وجوه الإعجاز القرآني ما لا يتيسر فهمه إلا للمتدبرين المتأملين في أسرار الشرائع، ودقائقها، وذلك أن هذه العلوم الخمسة – من جهة أنها لهداية النوع البشري وإرشاده – حجة قائمة بذاتها على أن هذا الكلام منزل من عند الله الحكيم العليم، كما أن طبيبًا حاذقا لو نظر مثلا في القانون (لابن سينا) وتأمل في بيانه لأسباب الأمراض وعلاماتها ووصفه لأدويتها وعلاجها لما اعتراه أدنى شك في أن مؤلف هذا الكتاب من كبار الأطباء الحاذقين في صناعة الطب، كذلك العالم بأسرار الشرائع الذي يعرف ما هي الأشياء التي يمكن تعليمها وتلقينها للناس لتهذيب نفوسهم وإصلاح قلوبهم، ثم يتأمل في هذه العلوم الخمسة[1] التي اشتمل عليها القرآن الحكيم لعلم العلم اليقين أن هذه العلوم قد وردت بمعانيها ومطالبها في القرآن على وجه لا يتصور أفضل منه، ولا أدنى ولا أجمل، وعلى كل فإن الشمس الساطعة دليل من نفسها على نفسها، فإذا كنت في حاجة إلى الدليل فلا تشح بوجهك عنها"[2].

(١) – ويعني بها الدهلوي علوم: الفقه، والكلام، وقصص الأنبياء، والكونيات، والتزكية.

(٢) – شاه ولي الله الدهلوي، الفوز الكبير في أصول التفسير، تر: سلمان الندوي، (دون بيانات النشر)، ص١٠٣.

وهكذا يغدو الميزان الصحيح عند الدهلوي الذي توزن به الأديان والمذاهب، هو مدى ملاءمتها للفطرة، وطبيعة البشر أم لا؟ وهل الإسلام يتوافق مع فطرة الإنسان التي جُبل عليها أم لا؟.

ولقد حاول الإمام العظيم الإجابة عن هذا السؤال المحوري في كتابه الجليل " حجة الله البالغة "، وفي نظر الدهلوي أن هذه الطريقة أنفع وأجدي لترسيخ عقيدة الثقة بخلود الرسالة المحمدية، وصلاحيتها أمام المرتابين والمتشككين.

كما تولى في كتابه " حجة الله البالغة " بيان حقيقة التوحيد وأهميته، بأسلوب أنيق فذ، يدل على رسوخ قدمه في هذا العلم، ومن عباراته الجامعة في هذا الفنّ قوله: " والتوحيد أصل أصول البر وعمدة أنواعه، وذلك لأنه يتوقف عليه الإخبات- لرب العالمين- الذي هو أعظم الأخلاق الكاسبة للسعادة وهو أصل التدبير العلمي، الذي هو أفيد التدبيرين، وبه يحصل للإنسان التوجه التام تلقاء الغيب، وتستعد نفسه للحوق به بالوجه المقدس، وقد نبَّه النبي - ﷺ - على عظم أمره، وكونه من أنواع البر بمنزلة القلب إذا صلح صلح الجميع، وإذا فسد فسد الجميع حيث أطلق القول فيمن مات لا يشرك بالله شيئا أنه دخل الجنة، أو حرمه الله على النار، ولا يحجب من الجنة ونحو ذلك من العبارات"[(١)]. وحكى عن ربه تبارك وتعالى: " من لقيني بقراب، الأرض خطيئة، لا يشرك بالله شيئا، لقيته بمثلها مغفرة"[(٢)].

(١)- ينظر: ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، تح: سعيد أحمد البالن بوري، (ط٣. دمشق: دار ابن كثير، ٢٠١٧)، ١: ٢٠٦.

(٢) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، رقم الحديث ٢٦٨٧، (ط٢. الرياض: دار السلام، ٢٠٠٠م)، ص١١٧٠.

كما نعى في هذا الكتاب على المسلمين تقصيرهم في فهم حقيقة التوحيد، لذلك أحاطت بعقيدتهم كثير من الغواشي، والعادات الجاهلية، ولذلك اهتم ببيانه في حركته الإصلاحية، كما سعى إلى تبيان ما يناقضه وهو الشرك، مؤكدا أن الطبقة الكبيرة من العامة قد فهمت حقيقة الشرك على أنه إشراك كائن ما مع ذات الله تعالى على قَدَم سواء، أما نسبة بعض صفات الله تعالى إلى بعض عباده المقربين، وتوليتهم بعض أمور القدرة المطلقة، فكل ذلك لا ينافي عندهم التوحيد ولا يرادف الشرك! موضحا أن هذا تلبيس جرَّ كثيرا من أفراد هذه الأمة إلى حِمى الشرك المحرمة، بحيث تخطو الخط الأخير الذي هو الحد الفاصل ما بين الشرك والتوحيد.

وهكذا قام الشاه بدحض الشرك، ودك مظاهره وحصونه، ولم يكتف بهذا فحسب، وإنما نهى أصحابه وأتباعه نهيا شديدا عن العادات والتقاليد البدعية وفي هذا المعنى يقول: إذا أمر عارف رجلا مريدا أن يشتري الخمر وغير ذلك مما لم يبحه الشارع، فينبغي للمأمور أن لا يفعله وليعتذر عذرا بينا"[1].

المطلب الثالث: فصل التقاليد والعادات عن جوهر الإسلام:

السنة المروية عن النبي - ﷺ - تحتوي على جزء جوهري وهو التشريع وهو الغالب لأن التشريع هو المراد الأول لله تعالى من بعثته - ﷺ - وجزء آخر تم إلحاقه به على مدى العصور، وليس من التشريع في شيء، وهو تصرفاته - ﷺ - التي تصدر عنه بمقتضى الجبلَّة والبشرية، ولا شك أن الإقدام على تمييز هاته التصرفات النبوية عمل صعب لا يستطيع أن ينوء به، إلا الأفذاذ من المجددين، والمصلحين الموهوبين، إذ على هدى هذا التمييز يبنى الفهم الصحيح للسنة وبه يتوسل إلى إدراك مقاصدها.

(١) - ولي الله الدهلوي، التفهيمات الإلهية، (ط١. دابهيل: منشورات المجلس العلمي ١٩٣٥م)، ٢: ٤٥.

وهذا ما دعا الإمام الدهلوي إلى بيان أنواع التصـرفات النبوية، وتمييز الفروق بينها في كتابه "حجة الله البالغة"، فقد ميَّز – رحمه الله – أقسام علوم النبي – ﷺ – فجعلها على قسمين: " أولا: ما سبيله تبليغ الرسالة، وفيه قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾. (الحشـر، الآية: ٧) ... ثانيا: ما ليس من باب تبليغ الرسـالة وفيه قوله: "إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر"[١].

وقوله- ﷺ – في قصة تأبير النخل: " فإني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شـيئا فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عز وجل"[٢]، فمنه الطب، ومنه ما فعله النبي – ﷺ – على سبيل العادة دون العبادة، وبحسـب الاتفاق دون القصـد.... ومنه ما قصد به مصلحة جزئية يومئذ وليس من الأمور اللازمة لجميع الأمة "[٣].

وتتزايد ضـرورة هذا الموضـوع – أعني التصـرفات النبوية – متى علمنا أنه من غير المجدي في زماننا هذا أن يسلك المسلم المهتدي سواء في أوربا أو أمريكا أو أفريقيا أو آسيا مسلك عرب منطقة الحجاز في القرن السابع، سواء أكان ذلك في ملبسهم، أم في مأكلهم، أم في غيرهما، لأنه ببسـاطة يجعل المهتدي حديثا إلى الإسـلام غريبا في وطنه، مهددا في رزقه، معرضـا لصـنوف التفرقة والازدراء، مما يدفعه إلى الانزلاق في حياة الغيتوهات كما عاش اليهود من قبل، وهذا الوضـع ولا شـك لا يليق البتة بالإسـلام، كما يمكن أن يصـيب عالمية رسـالته وكونيتها في الصـميم، و يحولها إلى ثقافة هامشـية، بل إلى أحد أشـكال الفلكلور

(١) – رواه مسلم في صحيحه، في كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره –صلى الله عليه وسلم– من معايش الدنيا، رقم الحديث ٢٣٦٢.

(٢) – الكتاب نفسه، والباب رقم الحديث٢٣٦١.

(٣) – الدهلوي، حجة الله البالغة، تح: محمد شريف سكر، (ط ١. بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٩٠م)، ١: ٣٧١-٣٧٢

الديني كما يقول " مراد هوفمان" بحق [١].

وبهذا العمل الفذ استطاع الشاه أن ينزع عن الدين ما تراكم عليه من مخلفات القرون، وأن يعود به إلى منبعه الأصيل الأثيل كجوهرة مصقولة براقة تناسب العالم في زمانه وبعده بقليل.

المطلب الرابع: الجمع والتقريب بين المذاهب الإسلامية:

ذكرنا سابقا أن أدواء العالم الإسلامي في رؤية الشاه تكمن في داء الفرقة والتشرذم، والانحطاط الأخلاقي، الذي أصاب العالم الإسلامي، ورأى أن الحل يتمثل في السعي إلى توحيد وجمع الأمة على صعيد واحد، واقتراح صيغة توفيقية بين مختلف المدارس الإسلامية السنية، يحدوه في عمله هذا تلك البشارة التي بشر بها من" أن مراد الحق منك أن يجمع شملا من شمل الأمة المرحومة بك "[٢]. وقد تجلَّى هذا العمل في عدة مستويات:

١- مستوى التوفيق والتقريب بين المذاهب الفقهية الأربعة:

حيث رأى الدهلوي أن الخلافات المذهبية قد شتت شمل الأمة ومزقت جمعها، وبدل أن توجه الجهود للتقريب بين المذاهب الفقهية الأربعة، وتحقيق الانسجام فيما بينها، راحت كل طائفة تتعصب لما ينتحلونه من آراء فقهائهم، فكان من اللازم لردع هاته الفتنة أن تعمم الدعوة إلى الأصلين، باعتبارهما مصدر الأحكام الشرعية لسدّ الباب على علماء عصره الذين كان جل اعتمادهم على الفقه، وحفظ مسائله الفرعية دون نظر إلى الأصول وهذا ما أورثهم جمودا وتحجرا وعصبية، وعدم مسايرة لمقتضيات العصر.

(١) – مراد هوفمان، رحلة إلى مكة، (ط٢. الرياض، مكتبة العبيكان ٢٠٠٢م)، ص ١٧٤.

(٢) – ولي الله الدهلوي، التفهيمات الإلهية، (مصدر سابق)، ١: ٤١وأيضا: ٢٤٩: ٢؛ وينظر أيضا: ولي الله الدهلوي، الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين، (مرجع سابق)، ص١٥٣.

ولذلك ما انفك الدهلوي يبيّن للناس أسباب اختلاف المجتهدين في المسائل، ويشرح مسألة الاجتهاد والتقليد، داعيا لترك التقليد الأعمى لآراء الرجال من غير دليل، مبيِّنا أن منشأ ذلك ليس سوى الجهل واتباع الهوى، حاثا العلماء على اختيار المسائل الفقهية بعد البحث والتحقيق، ذاما جمودهم عند ظواهر النصوص دون نظر لمقاصد الشريعة العامة.

ولم يكتف الإمام بالمناداة النظرية فحسب، وإنما قدم نموذجا عمليا يتجلى في اختياره كتاب الموطأ للإمام مالك- رحمه الله – حيث جعله عمدة درسه، وشَرَحَه في كتابين هما: "المسوّى " بالعربية، و" المصفّى " بالفارسي"، وقد ترجم أخيرا إلى اللغة العربية، وما ذلك إلا لأن الجمع بين المذاهب الأربعة لا يتأتى إلا بالحديث، ولأن الموطأ أقدم الكتب الحديثية بل هو أساسها، كما أنه الكتاب الوحيد الجامع لما اتفق عليه جمهور الصحابة والتابعين، ولذلك وقع اختياره عليه دون سواه، ونظرا لأن أكثر جماهير الأمة من مذهب الشافعية والحنفية، كانت أغلب استنباطات الإمام الدهلوي الفقهية من أحاديثه، مأخوذة مما استنبطه جماهير علماء المذهبين، ضاما لذلك ما لابد للفقيه من حفظه من القرآن.

والواقع أن محاولة الشاه كانت تهدف بالأساس إلى تحرير الفقه من الجمود الذي شل حركته، ولإزالة الخلافات والتباغض والمقاتلة بين طبقات الأمة التي غذاها التعصب المذهبي، وقد كان الدهلوي يدرك أن جذور الخلافات قد تأصلت في النفوس منذ عدة قرون، وأن أتباع كل مذهب قد عبّروا عن مذهبهم بقولهم: مذهبنا صواب لا يحتمل الخطأ، ومذهب غيرنا خطأ لا يحتمل الصواب، وفي هذا أعظم الخطر على الإسلام برمته، ولذلك ما برح الشاه يدعو إلى ضرورة التسامح في المسائل المختلف فيها، وإلى عدم اتخاذها سببا للفرقة والقطيعة بين المسلمين، ولما أهمَّته هاته القضية صنّف كتابيه " الإنصاف في أسباب الاختلاف "، و " "عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد "لهذا الغرض.

٢ - الجمع بين الفقه والحديث:

واختيار طريق الفقهاء المحدثين والدعوة إلى سلوك هذا المنهج التطبيقي، وبذل الجهود في سبيل ذلك، إذ كان الفقه والحديث يسيران في خطين متوازيين لا يلتقيان كما يقول الندوي، إذ كان كل واحد منهما يقطع طريقه في غنى عن الآخر فلا يجتمعان، ولم يكن يبحث في الحديث في كثير من المذاهب الفقهية إلا إذا كانت مسألة فقهية تحتاج إلى تأييد من حديث، أو دفع اعتراض أو ترجيح لمذهب على آخر، فلم تكن هناك محاولة لإعادة النظر في المسائل الفقهية نفسها ولا التوفيق بينها وبين الحديث، حتى تكونت للمذاهب قوالب حديدية جامدة يستحيل بسطها أو مدها، واعتقد أصحاب كل مذهب أنهم على الجادة مئة بالمئة [١]، وهنا ثار الإمام الدهلوي عن هذا الوضع وفي هذا المعنى يقول في وصيته ناصحا تلامذته وعليكم: " اتباع العلماء المحدثين الذين يجمعون بين الحديث والفقه، وعرض التفريعات الفقهية دائما على الكتاب والسنة، فيؤخذ ما وافقهما، ويترك ما خالفهما. فإن الأمة لا تستغني أبدا عن عرض الاجتهادات على الكتاب والسنة، وعدم السماع للفقهاء المتزمتين الذين يقلِّدون عالما معيّنا ويعرضون عن تتبع السنة فلا يحتفل بهم، فإن رضى الله في الابتعاد عنهم"[٢].

ويقول في "الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف ": "ومما وفقني الله تعالى للقيام به من الأعمال: تدوين المرضي والمختار في علم الفقه، واختيار طريقة الفقهاء المحدثين في المسائل الفقهية، وتشييد الصرح العالي لهذا الفن الشريف، فقمتُ بضبط أسرار السنن،

(١) - ينظر: أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، (الإمام الدهلوي)، (مرجع سابق). ج ٤، ص١٨٨.

(٢) - ولي الله الدهلوي، المقالة الوضيئة، (مصدر سابق)، ص٢٠١.

ومصالح الأحكام، وسائر ما جاء رسول الله - ﷺ - من ربه، وقام بتعليمه"[١].

ومع هذا الوضوح المنهجي إلا أن الشاه ولي الله لم يكن يضيره أن ينسب نفسه إلى المذهب الحنفي، والالتزام به، وما ذاك إلا لأنه يعلم أن هاته المذاهب الأربعة مما أجمعت الأمة على قبولها، وأن أئمتها ومؤسسيها هم هداة الأمة وقادتها. وأن في بقائها مصلحة عظيمة للأمة، وهذا ولا شك موقف حكيم، يدل على نفاذ بصيرة الشيخ وبعد نظره.

وتحضرني في هذا المقام قصة طريفة وقعت للشيخ ولي الله مع المحدث "فاخر إله آبادي"[٢]حين أمَّن هذا الأخير بالجهر في الصلاة في الجامع الكبير بدلهي، فأثار بعمله فتنة بين جمهور المصلين حاولوا على إثرها النيل منه، لكنهم آثروا الذهاب إلى الشاه ولي لمعرفة رأيه في القضية، فقال ولي الله إن التأمين بالجهر ثابت بالأحاديث الصحيحة، فرجع الناس، عندئذ توجه المحدث فاخر للشاه قائلا: لماذا لا تظهر نفسك، وتشهر السنن فكان جواب حكيم الملّة: أنه إذا لم أكن هناك فمن يمنعك من هؤلاء[٣]. وهي قصة تكشف ولا شك اتساع دائرة فهم الشيخ ولي الله.

(١) - ولي الله الدهلوي، الجزء اللطيف، (مصدر سابق)، (ط١. القاهرة: دار كليم، ٢٠٢٣م)، ص١٣٧.

(٢) - الشيخ محمد فاخر الإله آبادي الشيخ العالم الكبير المحدث محمد فاخر بن محمد يحيى، السلفي أحد العلماء المشهورين، ولد بمدينة إله آباد سنة عشرين ومائة وألف ونشأ في مهد العلم والمشيخة، له كتاب في العقيدة (الرسالة النجاتية) وقد عربت وطبعت أخيرا، توفي يوم الأحد لإحدى عشرة خلون من ذي الحجة سنة (١١٦٤ هـ)، بمدينة برهانبور. انظر في ترجمته: عبد الحي الحسني، الإعلام بمن في الهند من الأعلام، (مرجع سابق)، ٦: ٣٣٢ وما بعده.

(٣) - عبد الجبار الفريوائي، جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة، (ط١. بنارس: مطبوعات الجامعة السلفية، ١٩٨٠م)، ص ٥٣.

٣ -التقريب بين الفقهاء والطرق الصوفية:

كما اهتم الشـاه برفع الخلاف بين الفقهاء والصـوفية والتوفيق بين العلوم الشـرعية والرياضـات الصـوفية، ولذلك نراه أولا يتجه إلى تطهير التصـوّف، وإزالة الشـوائب عنه، فيحذّر الناس من رجال السـوء الذين يتّخذون التصـوف حرفة وينتحلون الكرامات، والخوارق، ويستغلّون الأوهام، والخرافات، ويبتدعون البدع، ويخالفون الشرع فيَضِلُّون ويُضلُّون، فإذا ما تم له هذا، استطاع الدهلوي، أن يقدم صورة حقيقية واضحة للتصوف الإسـلامي، يؤكد فيها أن التصـوف إنما هو طريقة لتقوية محرّكات العمل الصـالح، ودعم البواعث النفسية للإخلاص.

ويذهب الشـاه ولي الله أن الشـريعة وحدة ذات مظهرين: ظاهر وباطن، فالجانب الظاهري منها هو الجانب الذي تولى بيانه الفقهاء والمحدثون، نظَّر الله وجوههم، وهو جانب لا يمكن تجاوزه بأي حال من الأحوال، في سبيل الاحتفاظ باللّب أو الروح، والمظهر الثاني هو الباطن، وإن شـئت قلت: الهيئات النفسـانية التي تنبجس منها الأعمال، وهذا الجانب في الحقيقة هو الأسـاس الفلسـفي الذي تقوم عليه الشـريعة، فالعلم الباحث عن الجهة الأولى هو علم الشرائع، والعلم الباحث الثانية هو الإحسان وإن شئت سمه تصوفا وتزكية [١].

ويعتقد الإمام الدهلوي أن هذا الأساس الفلسفي يمثل روح الجزء التشريعي العملي من المنظومة الإسلامية والمقصود منها بالأساس، والتي اصطلح عليها الإمام الدهلوي ب " الإحسان"، وعرف في التراث الإسلامي بالتصوف.

(١) -ينظر: ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، تح: سعيد البالن بوري، (مرجع سابق)، ٢: ٢١٧-٢١٨. بتصرف.

٤- جمع وتوحيد الطرق الصوفية:

لم يكتف الشاه ولي الله برفع الخلاف بين الفقهاء والصوفية، بل عمد إلى التقريب بين الطرق الصوفية المختلفة، فقد كانت الطرق في شبه القارة الهندية متباعدة إلى حد التنافر، وكانت كل واحدة تتبارى وتتسابق فيما بينها للأخذ بقلوب الناس وكان اتباع كل الطريقة يتعصبون لها وينكرون غيرها مما أدى الى التطاحن بدل الاتفاق والوئام، فأظهر الشاه ولي الله عدم التعصب لطريقة دون أخرى ولم يتحرج من الذكر بالخير لأقطاب جميع الطرق.

وبمساعيه هذه تتجلى قدرته الهائلة على التركيب والإبداع، أو ما سماه بنفسه علم الجمع بين المختلفات، محققا في شخصه تلك البشارة النبوية التي تلقاها في المدينة المنورة، وهي: «إن مراد الحق فيك أن يجمع شمل الأمة المرحومة بك»[١].

٣١- ولي الله الدهلوي، التفهيمات الإلهية، (مصدر سابق)، ١: ٤١ وأيضا: ٢: ٢٤٩.

المبحث الثاني

جهود الإمام الدهلوي الإصلاحية

وفيه أربعة مطالب:

عكف الشاه على التدريس في المدرسة الرحيمية لإنشاء جيل جديد يتشرب أفكاره، ويعمل على نشرها بعده، وبدأ الطلاب يقبلون على مدرسته من كل فج عميق، ومرمى سحيق حتى تكاثر عددهم مما دعا الملك " محمد شاه " (١٧١٩م-١٧٤٨م)، إلى تهيئة مكان أرحب في "شاه جهان آباد"، في منطقة دلهي القديمة لاستقبال الوافدين الجدد، وبدأ الشاه يدرس هناك بعزم لا يفتر وهمة لا تلين، وكان تركيز الشاه ولي الله منصبا على إدخال تعديلات شاملة في طرق التعليم ومناهجه، بل تجديد منظومة العلوم الإسلامية ككل حتى يضمن تنمية قوى الاجتهاد والخلق والابتكار، كما حاول ما وسعه الجهد أن يقدم نظرية في تطوير المجتمعات المسلمة من النواحي الاقتصادية والعمرانية، سماها " الارتفاقات".

المطلب الأول: إصلاح المنهاج التدريسي:

يبدو أن هذا الموضوع قد أهم الإمام الشاه، وأخذ حيزا في كتاباته المختلفة، وما ذاك إلا لأن انحطاط التعليم وتخلفه في أمة، مؤذن بتدهور أحوالها، وضمور فكرتها، ولذلك ما فتئ الشاه ولي الله يلح على هاته القضية بكل جد، ويلفت الأنظار إليها حتى في وصاياه يقول ولي الله الدهلوي: " إن منهاج تدريس العلوم الذي أثبتته التجارب أن يبدأ أولا بتدريس الرسائل الموجزة في الصرف والنحو، وتدرس ثلاث أو أربع رسائل في كل منهما بحسب ذكاء الطالب وحاجته، ثم يدرس كتابا في التاريخ أو الحكمة العملية باللغة العربية. وفي هذه المرحلة يدرَّب الطالب على الاستفادة من المعاجم اللغوية ومعرفة معاني الكلمات الصعبة منها وإذا اكتسب قدرة في اللغة العربية، يدرس موطأ الإمام مالك برواية يحي بن يحيى

المصمودي. ولا يهمل هذا الكتاب أبدا لأنه أصل علم الحديث ولتدريسه فوائد كثيرة. وقد تسلسل استماعه إلينا، ثم يدرس القرآن الكريم بالترجمة وبغير التفسير(١). وإذا أشكل شيء من النحو أو أسباب النزول يوقف عنده ويناقش. وبعد الفراغ من الدرس يدرس تفسير الجلالين بالقدر الذي تم تدريسه من القرآن الكريم في الدرس. فإن لهذه الطريقة فوائد. ثم يدرس في وقت واحد كتب الحديث مثل الصحيحين وغيرهما وكذلك كتب الفقه والعقيدة والسلوك، وكذلك تدرس كتب المعقولات مثل شرح الملا والقطبي وغيرهما في وقت واحد. وإذا أمكن أن يدرس مشكاة المصابيح يوما وفي اليوم الثاني يدرس شرح الطيبى بالقدر الذي درس في اليوم الأول من مشكاة المصابيح، فإنه نافع جدا"(٢).

ولقد أثبتنا هذا النص على طوله لأهميته القصوى لما نحن بصدده لأن الدهلوي قدم فيه مشروعا يكاد يكون متكاملا لتدريس كتب العقيدة، والسلوك، والفقه، والمنطق، والفلسفة بالإضافة إلى القرآن والحديث، ومن المعلوم أن درس الحديث الشريف في الهند قبل الإمام الدهلوي كان حظه في مناهج التعليم كالمعدوم، بجانب العلوم العقلية، فكان الإمام الدهلوي أول رجل سعى سعيه في هذا المجال، وبذل الجهد المستطاع في بث معارف الحديث الشريف، فكان سعيه فيه سعيا مشكورا بفضل من الله وتوفيق منه، ولا شك أن ذيوع علم الحديث، وانتشار السنة الصحيحة مما يقرب الطالب إلى الاجتهاد الصحيح، ويدنيه من مصادره الثرّة.

(١) - يقصد ترجمة معاني القرآن، دون اللجوء إلى كتب التفسير كالبيضاوي والكشاف وغيرهما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، (القمر، الآية: ٢٢)، وقال أيضا: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، (محمد، الآية: ٢٤)

(٢) – ولي الله الدهلوي، المقالة الوضيئة، (مصدر سابق)، ص٢٠٩.

كما ذم الإمام الدهلوي الاهتمام الزائد بالعلوم الآلية، على حساب علوم المقاصد وهذا ما وضحة في كتابه التفهيمات إذ يقول فيه: "وأقول لطلبة العلم: أيّها السفهاء المسمّون أنفسكم بالعلماء اشتغلتم بعلوم اليونانيين وبالصرف والنحو والمعاني، وظننتُم أنّ هذا هو العلم، إنّما العلم آية مُحكمةٌ من كتاب الله تعالى، أن تتعلّموها بتفسير غريبها، وسبب نزولها وتأويل معضلها، أو سنة قائمة من رسول الله - ﷺ - أن تحفظوا كيف صلّى النبي- ﷺ -؟ وكيف توضّأ، وكيف كان يذهب لحاجته؟ وكيف يصوم؟ وكيف يحجّ؟، وكيف يجاهد؟ وكيف كان كلامه؟ وحفظه للسانه؟ وكيف كانت أخلاقه؟... كان مرضي الحق أن تشتغلوا بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله - ﷺ - ابتداء، فإن سهل عليكم الأخذ بهما فبها ونعمت، وإن قصرت أفهامكم فاستعينوا برأي من مضى من العلماء، ما تروه أحق، وأصرح، وأوفق بالسنة، وأن لا تشتغلوا بالعلوم الآلية إلا بأنها آلة لا بأنها أمور مستقلة، أما أوجب الله عليكم أن تشيعوا العلم حتى يظهر شعائر الإسلام في بلاد المسلمين، فلم تظهروا الشعائر، وأمرتم الناس أن يشتغلوا بالزوائد"[١]

ومن أجلِّ إصلاحاته في التعليم تطبيقه بين الحديث والفقه، إذ وطّد العلاقة بينهما، يقول في كتابه " الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف": " ومما وفقني الله تعالى للقيام به من الأعمال: تدوين المرضي والمختار في علم الفقه، واختيار طريقة الفقهاء المحدثين في المسائل الفقهية، وتشييد الصرح العالي لهذا الفن الشريف، فقمتُ بضبط أسرار السنن، ومصالح الأحكام، وسائر ما جاء رسول الله - ﷺ - من ربه، وقام بتعليمه"[٢]. وهذا يعني أنه قرر أن يسلك مسلك الفقهاء المحدثين في عملية الإصلاح والتجديد، وليس منهج

(١) - الدهلوي التفهيمات الإلهية، (مصدر سابق)، ١: ٢١٤.

(٢) - ولي الله الدهلوي، الجزء اللطيف، (مصدر سابق)، ص١٣٧.

الفقهاء، وهذا ما تجلَّى واضحا في مأثرته "المسوى في شرح الموطأ" الذي هو في الحقيقة تطبيق لهذا المنهج الذي نادى به، كما عاب على الفقهاء ترجيحهم أقوال الفقهاء على الحديث، وتأويلهم الأحاديث حتى تتماشى مع المذاهب.

كذلك حاول إصلاح المنظومة العقدية حيث كان منهجه يقوم في باب الأسماء والصفات على التمسك بما كان عليه الرعيل الأول. وأن يعرض طالب العلم في هذا الباب خاصة عن الخوض في المسائل التي لم يُخض السَّلف في تفصيلها، وفي هذا المعنى يقول في رسالته "المقالة الوضيئة ": "وصية هذا الفقير الأولى أن يتمسك المسلم في العقائد والعمل بالكتاب والسنة ويعضّ عليهما بالنواجذ، ويعمل بهما دائما، ويختار في العقائد منهج المتقدمين من أهل السنة، ويُعرض في باب الصفات والآيات عن المتشابهات التي لم يخض السلف في تفصيلها والبحث فيها، ولا الالتفات إلى تشكيكات العقلانيين المتكائسين"[١].

كما لم يهمل الاهتمام بعلم التزكية، وكان لا يقبل التفريق بين التربية والتعليم، مدركا أن التعليم وحده لا يعلم عين الطالب الدموع ولا قلبه الخشوع كما يقول إقبال، وكان الشاه يعلم علم اليقين أن الدين ليس إدراكا، بل هو فعل، وأنه ليس نظر بل هو سلوك، وتقديم الدين على هذا الأساس يكفل مبدأ أساسيا لدى الشاه ولي الله وهو أولية الإنسان.

ومن الطريف أن نجد الشاه انتبه إلى أهمية التخصص العلمي قبل أن تعرفه الحضارة المعاصرة يقول ابنه عبد العزيز: "إن الوالد المحترم كان قد أعدَّ شخصا في كل فنّ وعلم، وكان يسلم طلاب ذلك الفن والعلم له، أما هو فكان مشغولا بالوعظ والكتابة وتدريس الحديث"[٢].

(١) – ولي الله الدهلوي، المقالة الوضيئة، (مصدر سابق)، ص٢٠١.

(٢) – نقلا عن: أبي الحسن الندوي، (الإمام الدهلوي)، (مرجع سابق)، (ط ١. الكويت: دار القلم ١٩٨٥ م)، ٤: ٤٨٩.

المطلب الثاني: ترجمة معاني القرآن الكريم:

أما القرآن الكريم فقد أصبح يقتصر فهمه ودراسته إلا على من درس العلوم الكثيرة، ولا يقصده أحد غيرهم، كما حالت دون وصول هداياته للنفوس ركاما من التصورات التي ما أنزل الله بها من سلطان ولذلك عكف الشاه على ترجمته إلى اللغة الفارسية، وما ذلك إلا لإيمان الشاه ولي الله أن القرآن رسالة للعالم، وأنه كتاب عملي ما نزل ليحشوا الأذهان بركام من التصورات والنظريات الفلسفية، ولكنه نزل ليأمر وينهى، ويحكم على الحياة، ويقوِّم التصورات، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص، الآية: ٢٩)، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد، الآية: ٢٤)، وهذا هو المقصد الأساسي من نزوله، وهذا ما غفل بعض الفقهاء الذين منعوا من ترجمة معانيه، وبهذا العمل الفذ استطاع ولي الله أن يخرج بالقرآن من حال التبرك التي سيطرت على المجتمعات الإسلامية، إلى حال التدبر والوعي الذاتي. بل لقراءة القرآن كأنه ينزل عليهم.

والواقع أن الإمام الدهلوي أدرك أن دراسة القرآن الكريم وفهمه وتدبره هو أقوى الطرق وأشدها تأثيرا لعلاج النفوس وجذب القلوب، ولذلك أقبل على ترجمة معانيه، وتاريخ الدعوة والإصلاح والتجديد في الإسلام شاهد صدق على ذلك.

المطلب الثالث: الدعوة إلى التكامل بين العلوم الإسلامية ومحاربة النزعة الذرية:

لقد كان الإسلام في عهد السّلف الأول وحدة متماسكة لا تنفصم، فغدا بفعل ظروف الفساد الدنيوية، وطول الأمد، وحدات مجزأة مفككة بعضها عن بعض فدراسة الجانب العملي سواء أكان في مجال العبادات أم المعاملات تولاه الفقهاء، ودراسة الجانب العقدي بات من اختصاص المتكلمين، أما الجانب الوجداني أو العاطفي فقد تولاه الصوفية، وكل طائفة من هذه الطوائف تدعي أنها على الجادة وأنها الإسلام كل الإسلام، مما أوجد قطيعة معرفية بين هذه العلوم فضاع بذلك الارتباط الحيوي والتأثير المتبادل بين هذه الجوانب.

رأى الإمام هذا كله فانبرى لتقديم صورة عن الإسلام مبرأة من الشوائب والتحريف، شاملة لجميع جوانبه وأجزائه مع ترابطها، وحفظ نسبها، متجاوزة آثار الخصومات الفكرية بين أنصار هاته المدارس، وقد تجلّى هذا في مأثرته الخالدة "حجة الله البالغة". ذلك لأنه كان جامعا كما يقول محمد محسن الترهتي: " بين الطرق الثلاثة من السمع والفكرة والذوق،"[١].

كما تجلت هاته النزعة التكاملية كأوضح ما يكون في تطويره للدراسات الشرعية وفق منهج يزاوج بين ظواهر النصوص بعيدا عن النزعة الذرية التجزيئية، ويؤسس لقراءة مقاصدية قائمة على " علم أسرار الدين ".

كما تبرز هاته النزعة التكاملية في تحديده لأدواء الأمة، فلم يحصرها في عامل واحد، كما جرت بذلك عادة بعض الباحثين، تأثرا بتخصصاتهم في الغالب،

٢- محسن الترهتي، اليانع الجني في أسانيد عبد الغني، تح: ولي الدين الندوي، (ط عمان: أروقة للدراسات والنشر ٢٠١٦م). ص١٦١.

كأن يكون ذلك العامل اقتصاديا، أو أخلاقيا، أو فكريا، بل رأيناه ينظر إلى العلل التي تنخر جسد الأمة نظرة متكاملة، تتناول ميادين شتى منها الأخلاقي والفكري والاقتصادي، بل والسياسي والروحي إذ الاهتمام بناحية دون غيرها، قد يؤدي إلى تأزم الوضع أكثر، بدلا من أن يؤدي إلى انفراجه، فالإصلاح الاقتصادي وحده، دون أن يتبعه إصلاح خلقي وروحي، يؤدي إلى انفصام بين الغايات والوسائل، كما هو ملاحظ اليوم في أزمة الحضارة الغربية المعاصرة.

ولقد أبت عليه همته العالية أن يقتصر على ناحية دون أخرى من نواحي الإصلاح، بل رام نهضة شاملة سياسية وعلمية في وقت واحد، ولقد تأكد للدهلوي أن الدعامة الأولى للنهضة هي تجديد العلوم الشرعية وإحياء المعارف الإسلامية، حتى يقوم بنيان السياسة على أساس متين من الوعي الإسلامي العام.

وما ذاك إلا لنظرته الشمولية للدين، إذ الإسلام يختلف عن المسيحية التي تهتم بالإصلاح الجواني، وأهملت الجوانب البرانية، أما الإسلام فيهتم بتوجيه جميع مناشط الحياة، ولا يرضى لأتباعه بحياة الرهبنة في الزوايا والأديرة والكهوف.

وقد حقق الإمام الدهلوي في شخصه هذا التكامل المعرفي المطلوب فوعى عقله وقلبه علوم الأصلين، كما كان ملما بأحوال عصره ومتطلباته غاية الإلمام، ذا قدرة عجيبة على استنباط الأحكام والنظريات، وتنزيلها على الواقع مراعيا في كل ذلك مقاصد الشريعة السمحة.

المطلب الرابع: نظرية الارتفاقات:

ومن الأمور التي اهتم بها الإمام الدهلوي إنشائه لعلم جديد هو "علم الارتفاقات"[١]، بحيث يكون العدل فيه هو المرتكز باعتباره حجر الأســاس في بناء المجتمع، وهو بهذا العمل يحدد أحد أضــلاع الرؤية الكونية التوحيدية للعالم، كما ركز الدهلوي في مبحث الارتفاقات على الفطرة. والغريب أن إثارته لهذا المبحث كان متزامنا مع "جون جاك روسو".

ويفهم من كلام الدهلوي عن الفطرة أنه يقصــد بها الاســتعداد الذاتي والميل الطبيعي الذي زود به الإنســان، والذي يدفعه إلى التصــرف بانســجام مع النظام العام الذي بثّه الله في العالم.

ويؤكد الدهلوي أن هذا النظام التكويني لا يلزم أن يوافق النظام التشــريعي الذي بعث به الأنبياء فحسب، بل يلزم منه أن يمده ويتعاون معه، ويخدم أغراضه ومقاصده.

والحقيقة إن نظرية الارتفاقات الدهلوية هي من الجمرات الحية التي لا تزال باقية في تراث الدهلوي. والتي يجب إحياؤها وتفعيلها في دنيا الواقع.

(١) – لمزيد من التوسع ينظر:

-Al-Ghazali ،Muhammad: The Socio-Political Thought of Shah Wali Allah: (Pakistan. Islamic Research Institute Press ،2001.347p).

المبحث الثالث

جهود الإمام الدهلوي في فن التوجيه والتغيير.

وفيه ثلاثة مطالب:

وفيما يتعلق بتغيير الأوضاع القائمة فقد كانت فلسفته قائمة على الاهتمام بالمجتمع المسلم لأنه الحاضنة الأساسية للرعية والحكام، ومصدر كل انقلاب صالح أو طالح، ولذلك توجه بالنصح الخالص لكل طبقة من طبقاته، ودل على مواضع وهنها وضعفها، ولم يكتف بذلك نظريا، بل ضم إلى ذلك تربية الرجال الأكفاء، والخلفاء النبهاء الذين حملوا من بعده مشاعل الدعوة، وأكملوا ما بدأه حسب مقتضيات الزمن.

المطلب الأول: الوعظ والإرشاد والتذكير:

ومن الأعمال التي أثرت تأثيرا مباشرا في حياة المسلمين بالهند في عصر الإمام الدهلوي هي تلك الإسمعيات التي كان يوجهها إلى عامة طبقات المجتمع المسلم، وكان لا يريد من ورائها جزاء ولا شكورا، لا يشوبه فيها أي غرض من الأغراض المادية، بل إنما لتكون كلمة الله هي العليا حيث كان الإمام يتخول الملوك والنواب خاصة بالنصح الخالص بغية دعم روح الائتلاف بين المسلمين، ولتنبيه القلوب الغافلة، وإيقاظ العيون النائمة، وليبث العزم في النفوس الخائرة؛ كي تهب وتستفيق وتقوم بما يجب عليها، وتعيد أمجاد الماضي وتسترد نسماته العطرة، بدل الاصطدام مع الحكام والوقوف لهم بالمرصاد، متأسيا في ذلك بالشيخ "أحمد السرهندي " الذي كان شعار دعوته نحن نريد إيصال رسالة الإسلام إلى الحكام، لا كراسي الحكام يقول في موضع من كتابه التفهيمات الإلهية موجها خطابه إلى السلاطين: " أقول للملوك: أيها الملوك المرضيُّ... أن تنصبوا في كل ناحية وفي كلّ مسيرة ثلاثة أيام وأربعة أيام أميرًا عادلاً، يأخذ للمظلوم حقّه من الظالم، ويقيم الحدود... "[1].

(١) – الدهلوي، التفهيمات الإلهية، (مصدر سابق)، ١: ٢١٦.

ولم يكتف الإمام الدهلوي بتوجيه هاته الإسمعيات للسلاطين، والأمراء، والجند وحسب، ولكنه راح يتفحّص أحوال طبقات الأمة ليعرف أدواءها وانحرافاتها، ومواضع ضعفها ومن ثمّ تقويمها وإصلاح الفاسد منها، وفي هذا المعنى يقول لأصحاب الحرف والصنائع: " وأقول للمحترفة: ضاعت أماناتكم، وذهلتم عن عبادة ربّكم، وأشركتم بربّكم، وذبحتم لطواغيتكم، وحججتم إلى "المدار"[١]، و"السالار"، فبئس صنيعكم ذلك... إنّ الله هيّأ لكم من الكسب ما يكفي لكم ولذوي حقوقكم إن أنتم اقتصدتم واكتفيتم بما يكون بُلغة إلى المعاد، فكفرتم بنعمة ربّكم، وأسأتم التدبير، أما تخافون عذاب جهنّم وبئس المهاد. "[٢].

كذلك وجه النصح للوعّاظ المعسّرين في الدين والزهاد المنزوين في الزوايا والتكايا حيث خاطبهم قائلا: " يا أيّها المتنسّكون! ركبتم كل صعب وذلول، وأخذتم بكلّ رطبٍ ويابس، دعوتم الناس إلى الموضوعات والأباطيل، وعسّرتُم على الخلق، وإنّما بعثتم ميسّرين لا معسّرين، وتمسّكتم بكلام المغلوبين من العشاق، وكلام العشاق يُطوى ولا يروى، واستطبتم الوسواس وسمّيتموه الاحتياط، وكان مرضيّ الحق فيكم أن تفهموا الإحسان بجزأيه الاعتقادي والعملي فتُحصّلوه من غير أن تخلطوا به أحوال المغلوبين، وإشارات المكاشفين فادعوا النّاس إليه.. و الهدى كل الهدى ما جاءكم به محمد - ﷺ - أكان يفعل فعلكم هذا، أم كان أصحابه يفعلون هذه الأفعال؟!.. "[٣].

(١) - المراد به الشيخ بديع الدين المكنبوري، الذي يعرف بالشاه مدار.

(٢) الدهلوي، التفهيمات الإلهية، (مصدر سابق)، ، ١: ٢١٧.

(٣) - المصدر نفسه، ١: ٢١٥.

كما توجه بإسمعياته إلى العلماء والطلاب فقال لهم مخاطبا: " أيّها السفهاء المسمّون أنفسكم بالعلماء اشتغلتم بعلوم اليونانيين وبالصرف والنحو والمعاني، وظننتُم أنّ هذا هو العلم، إنّما العلم آية مُحكمةٌ من كتاب الله تعالى، أن تتعلّموها بتفسير غريبها، وسبب نزولها وتأويل معضلها، أو سنة قائمة من رسول الله - ﷺ - أن تحفظوا كيف صلّى النبي - ﷺ -؟ وكيف توضّأ.. وكيف كانت أخلاقه؟.."[١].

والواقع أن الشاه ولي الله لم يترك طبقة من طبقات المجتمع إلا اتجه إليها بعظاته، مبينا من خلالها العلل والأرزاء التي يتخبطون فيها، مقترحا الحلول التي تعزز من حضارة المسلمين في الهند وخارجها، وتأمل قوله مخاطبا الأمة الإسلامية جمعاء: " وأقول لجماعات المسلمين عموما خطابا واحدا يا معاشر بني آدم فسدت أخلاقكم، وغلب عليكم الشحّ، واستحوذ عليكم الشيطان، وزأرت النساء على الرجال، وغمط الرجال على النساء واستطبتم الحرام، واستبشعتم الحلال، فو الله إن الله ما كلَّف نفسا إلا ما تطيق..... "[٢].

كما أنه اتخذ خطوات جريئة لبث تعاليم الإسلام بين الجماهير المتمرغين في الجهل والمحرومين من التوجيه الديني الصحيح، حيث كان يلقي دروسا في التفسير التحليلي، كان آخر دروسه كما يذكر ذلك عبد الحي الحسني مؤرخ الهند الكبير حول قوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾. (المائدة، الآية ٨) [٣]. والواقع أن ترجمته للقرآن الكريم، ودروسه المنهجية المنظمة مأثرة تجديدية وإصلاحية لم يسبق إليها.

---

(١) - الدهلوي، التفهيمات الإلهية، (مصدر سابق)، ، ١: ٢١٤.

(٢) - المصدر نفسه، ١: ٢١٧.

(٣) - عبد الحي الحسني، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، (مرجع سابق)، ٧: ١٠١٤.

المطلب الثاني: إحياء الربانية أو الدعوة إلى (علم الإحسان):

وتأكيد قيمة الإنسان، وتوضيح الطريق الذي يؤدي إلى خلافة الإنسان، وقد برز هذا المنحى في كتبه التي اهتمت بمبحث " الإحسان " بخاصة، ولا أدل على اهتمامه بهذا المبحث اعتباره لكلية تزكية النفس، وبناء الإنسان مقصدا من مقاصد الدين العليا.

وفي كتبه نجده يلوح إلى أهمية الذكر، ويبين فوائده في رفع حجب الغفلة، كما يؤكد أنه أكسير أحمر في تحرير روح الفرد، وتخليصه من كل الشوائب المضللة التي تنأى به عن إدراك تبعيته الأصلية، وعبوديته الحقة لمولاه يقول الإمام الدهلوي: " و لا إله إلا الله لها بطون كثيرة، فالبطن الأول طرد الشرك الجلي، والثاني طرد الشرك الخفي، والثالث طرد الحجب المانعة عن الوصول إلى معرفة الله"[١]. وإليه الإشارة في قوله - ﷺ - : " لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه "[٢].

ويحذر الإمام الدهلوي من عوائق تحول دون وصول هذا الأساس إلى الكمال، وإلى الغاية المرجوة منها وبحصرها في اثنتين:

أولا – النظر إلى الأعمال من حيث إيصالها إلى هيئات نفسانية قويمة، لأن الأعمال قد لا تؤدي إلى أرواحها، كأن يؤدى العمل على وجه الرياء أو العادة [٣].

ثانيا- النظر إلى تلك الهيئات النفسانية لمعرفتها حق المعرفة، وذلك لمباشرتها على

(١) – ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، (ط بيروت: دار الثقافة، (د، ت))، ٢: ٢٣٣-٢٣٤

(٢) – أخرجه: الترمذي، السنن، ٤٩ كتاب الدعوات، ٨٧ باب حديث رقم الحديث ٣٨١٥. تح: عبد الرحمن عنان، (ط بيروت: دار الفكر العربي ١٩٨٣م)، وقال: الترمذي هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي، ج٥، ص٣٥٦.

(٣) – ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، تح: سيد سابق، (مصدر سابق)، ٢: ١٠٤.

بصيرة مما أريد منها فإن من لا يعرف المقصود من الآلات كاد إذا استعملها أن يخبط خبط عشواء، أو أن كحاطب ليل [١].

كما نجده يرشد إلى أهمية السلوك للوصول إلى الكمال، وتذوق حقائق هذا الدين، ويشير أن سبيل مقاومة إغراءات المادية تكون بصحبة الصالحين من عباد الله. كما نجده يثني خيرا على أئمة أرباب السلوك مثل " عبد القادر الجيلاني "[٢]، و"بهاء الدين النقشبندي"[٣]، و"أبو الحسن الشاذلي" [٤]هذا الأخير الذي شرح أحد أحزابه وهو "حزب البحر"، وسمى كتابه الهوامع.

لكن هذا لا يعني أن الإمام الدهلوي يقر واقع الصوفية الذي شاهده في عصره، لذلك نجده يرد على ترهاتهم، كما في كتابه " الفوز الكبير" حيث يقول: "وإذا أردت أن ترى نموذجا لهؤلاء الضالين (يقصد النصارى) في قومك، فانظر إلى كثير من أولاد الأولياء المقدسين ماهي تصوراتهم عنهم، واعتقاداتهم فيهم، وإلى أي حد وصلوا بهم؟ "[٥].

ويقول في موضع في كتابه "التفهيمات الإلهية": "إن هؤلاء المتصوفة الضالة المضلة

---

(١) – ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، تح: سيد سابق، (مصدر سابق)، ٢: ١٠٤.

(٢) – من أهم مؤلفاته: الغنية، وفتوح الغيب، والفتح الرباني، انظر في ترجمته: ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (ط بيروت: دار الآفاق الجديدة، (د، ت))، ٤: ١٩٨-٢٠٢.

(٣) – هو الخواجة بهاء الدين نقشبند توفي سنة (٧٩١هـ) من مؤلفاته: هداية السالكين وتحفة الطالبين، الحسني، الثقافة الإسلامية في الهند، (مرجع سابق)، ١٨٢-١٨٣.

(٤) – متصوف مشهور ولد عام ٥٩٣هـ، تنسب إليه الطريقة الشاذلية، توفي سنة٦٥٦هـ بحميثرة بمصر وأوفى ترجمة عنه ما كتبه: عبد الوهاب فرحات، أبو الحسن الشاذلي حياته ومدرسته في التصوف، (ط١. القاهرة مكتبة مدبولي ٢٠٠٣م).

(٥) ولي الله الدهلوي، الفوز الكبير في أصول التفسير، (مصدر سابق)، ص٣٦.

في زماننا هذا أشهد لله بالله عليهم أنهم فرقة نابتة في الإسلام ليست من أصل الإسلام، كما أن الزارع يزرع الحبوب الغاذية النافعة، ثم يسقيه الماء فينبت من غزارة الماء وسهولة الأرض أنواع من الكلأ والعشب، لا يتم أمر الزارع إلا بقطعها وإتلافها"[١].

ومن الأشياء التي ينبغي أن تذكر، ويشكر عليها الإمام المجدد هي مواءمته بين التصوف والشريعة، وإخضاع الطريقة لها، بعدما كاد التصوف أن يصبح مدرسة مستقلة بذاتها، ذلك لأن مشايخ الصوفية اقتصروا على المعارف والأحوال والمواجيد والأذواق، واعتبروا هذا هو مقصد الدين الأسمى، وأضربوا عن الشريعة صفحا، مما أوشك أن يؤدي إلى التمايز التام بين الاثنين، وبخاصة لما ادعى البعض أنه عند الوصول تسقط عن السالك التكاليف الشرعية.

فكان الدهلوي من أكبر الدعاة المرشدين إلى ضرورة العودة إلى الشريعة والانخراط في سلك النبي - ﷺ - واقتفاء آثاره، والحرص على اتباع سنته وهديه، وأن السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة منوطة بذلك، فسدَّ بذلك باب الإلحاد والزندقة على كثيرين ممن يتزينون بزي التصوف وهو منهم براء، وقد استطاع بقوة تأثيره أن يمنع الفكر الصوفي في الهند وما جاورها من الانزلاق إلى هذا المستنقع الآسن والدرك الهابط.

ولا شك أن هذا نقد أساس يوجهه الدهلوي إلى متصوفة زمانه، ذلك لأن التصوف في نظر الدهلوي شهادة لله عز وجل، وعمل يهز واقع الحياة، وليس لقلقة فارغة تلوكها الألسن، فكان الدهلوي من أكبر الدعاة المرشدين إلى ضرورة الرجوع، بل الانطلاق من الشريعة وتحكيمها في جميع الأحوال، والأقوال والأعمال، وقد استطاع بقوة تأثيره أن يمنع الفكر الصوفي من الانزلاق في حياة الرهبنة والانغمار في الطرق والزوايا ليخرج به إلى حياة الجد والكفاح.

(١) - ولي الله الدهلوي، التفهيمات الإلهية، (مصدر سابق)، ١: ٢٠٥.

ولنتأمل أحد خطاباته التي وجهها إلى المنتسبين إلى طريق الصوفية: " أقول لأبناء المشايخ المترسمين برسم آبائهم من غير استحقاق يا أيها الناس مالكم تحزبتم أحزابا، واتبع كل رأي رأيه وتركتم الطريقة التي أنزلها الله على لسان محمد - ﷺ - رحمة بالناس ولطفا بهم، وهدى لهم، فانتصب كل واحد منكم إماما، ودعا الناس إليه، وزعم نفسه هاديا مهديا وهو ضال مضل، نحن لا نرضى بهؤلاء الذين يبايعون الناس ليشتروا به ثمنا قليلا، أو ليشوبوا أغراض الدنيا بتعلم علم، إذ لا تحصل الدنيا إلا بالتشبه بأهل الهداية، ولا بالذين يدعون إلى أنفسهم، ويأمرون بحب أنفسهم، هؤلاء قطاع الطريق دجالون كذابون مفتونون، فتانون إياكم وإياهم، ولا تتبعوا إلا من دعا إلى كتاب الله، وسنة رسوله، ولم يدع إلى نفسه، ولا نرضى بإشاعة إشارات الصوفية في المجالس والمحافل، إنما المرضي الإحسان، أما لكم عبرة في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾. (الأنعام، الآية: ١٥٣)"[١].

ويقول في موضع آخر من كتابه " التفهيمات " شارحا الحديث النبوي الشريف: " لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضبّ لَتبعتموهُم. قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟ "[٢]: يقول الدهلوي صدق رسول الله - ﷺ - " فقد رأينا رجالا من ضعيفي المسلمين يتخذون الصلحاء أربابا من دون الله، و يجعلون قبورهم مساجد، كما كان اليهود و النصارى يفعلون ذلك، وقد رأينا رجالا منهم يحرّفون الكلم عن مواضعه يقولون: الصالحون لله، و الطالحون لي"، كما قال الذين من قبلهم: ﴿ لَن تمسّنا النَّار إلاّ أيامًا مَعدُودَة ﴾. (البقرة، الآية: ٨٠)، وإن سألت الحق فقد فشا

(١) - الدهلوي، التفهيمات الإلهية، (مصدر سابق)، ج١، ص٢١٤.

(٢) - أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود و النصارى تحت رقم: ٢٦٦٩،

التحريف في كل طائفة، فالصوفية أظهرت أقاويل لا يدرى لها توفيق بالكتاب و السنة، لا سيما في مسألة التوحيد و كاد أن لا يكون الشرع عندهم ببال، و العامّة الذين يعبدون الطواغيت و يتخذون قبور الصلحاء مساجد أو عيدا إلى أين يذكر ما هم فيه من الغواية"[١].

ومع هذه الانتقادات التي وجهها إلى رجال الطريقة الصوفية، فإنه كان يرى أن طريقة الإحسان والسلوك أنفع الوسائل لتزكية القلوب وتطهيرها لمعرفة الله سبحانه، والتقرب إليه ولذلك كان أول من أدخل تدريس علم الإحسان في المقررات الرسمية.

المطلب الثالث: التأكيد على عقيدة ختم النبوة:

ختم النبوة واحدة من عقائد الإسلام العظيمة، وتعني أن الإسلام خاتمة الرسالات السماوية، وأن محمدا خاتم الأنبياء، وذلك لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾، (الأحزاب، الآية: ٤٠).

ولذلك كان الشاه ولي الله الدهلوي يحرص على حفظ مرتبة النبوة من أن تدانيها مرتبة أخرى، ولذلك كان يرى أن الغلو في بعض البشر، والقول بعصمتهم، ووجوب طاعتهم، وأنهم يوحى إليهم وحيا باطنيا قد يقوِّض مبدأ ختم النبوة[٢].

وكأن الشاه ولي الله الدهلوي كان يستشعر ما سيحصل بعد عهده من ظهور بعض المتنبئين، ولذلك كان تأكيده على هذه العقيدة عظيما، وهو معنى حرص محمد إقبال على

(١) – الدهلوي، التفهيمات الإلهية، (مصدر سابق)، ج٢، ص١٣٥.

(٢) – ولي الله الدهلوي، الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين، تحقيق: محمد عاشق البرني المدني، (مرجع سابق)، ص١٥٨؛ وينظر أيضا: ولي الله الدهلوي، المقالة الوضيئة في النصيحة والوصية، (مصدر سابق)، ص٢٠٨.

تأكيده بقوله: "إن النبوة في الإسلام لتبلغ كمالها الأخير في إدراك الحاجة إلى إلغاء النبوة نفسها، وهو أمر ينطوي على إدراكها العميق لاستحالة بقاء الوجود معتمدًا إلى الأبد على مقود يقاد منه، وإن الإنسان لا بدّ له في النهاية من أن يعتمد على نفسه! وإن الإنسان لكي يحصل كمال معرفته لنفسه ينبغي أن يترك ليعتمد في النهاية على وسائله هو، إن إبطال الإسلام للرهبنة ووراثة الملك، ومناشدة القرآن للعقل وللتجربة على الدوام وإصراره على أن النظر في الكون. والوقوف على أخبار الأولين من مصادر المعرفة الإنسانية، كل ذلك صور مختلفة لفكرة انتهاء النبوة "[1].

والواقع أن الإمام كان صاحب دعوة إسلامية خالصة كانت تعد لثورة فكرية تسبق البعث السياسي الذي كان الإمام يبشِّر بقرب ظهوره، دعوة تعمل على قيام دولة إسلامية حقّة على عهد الخلافة الراشدة لا تريد في الأرض علوا ولا فسادا، دعوة لا تقصد إلا هداية الناس، وإسعاد النفوس وخدمة الخلق، والنصح الخالص، والإشفاق على مصير بني آدم.

وبهذا الشمول أصبح الإمام الدهلوي نموذجا للداعية الرباني، والمربي الحكيم، وأصبح مدرسة فكرية واسعة جامعة، يتخرج منها الدعاة والمرشدون على اختلاف مشاربهم ومنازعهم الفكرية.

(١) – محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود، (ط. بيروت: دار آسيا، ١٩٨٥م)، ص١٧٧

الخاتمــة

بعد الانتهاء من دراســة جهود الدهلوي الدعوية توصــل الباحث إلى عدد من النتائج والتوصيات يحسن بنا إيرادها هنا.

أولاً: النتائج:

١- إن دعوة ولي الله الدهلوي كانت دعوة شاملة، شملت جميع مناشط الحياة، فلم تقتصر على جانب دون جانب، وإنما شــملت الجانب العلمي والعملي، ولم يكتف الرجل بالتنظير الفكري، وإنما عني بالأفكار من حيث تطبيقاتها في الحياة العملية. كما لم تكن دعوته محدودة في إصلاح العقائد، ومجانبة البدع المحدثة في الدين، أو إصلاح الجانب الروحي وإنما كانت ثورة إصــلاحية بأتم ما تعنيه هذه الكلمة. حيث كان لد دور حيوي على المحافظة على الكيان الإسلامي في شبه القارة الهندية.

٢- إن أهم شيء يلفت الانتباه في مساعي الإمام الدهلوي الدعوية والإصلاحية هو الواقعية، وقد برزت هاته الواقعية في فهمه للواقع الهندي، واســتجابته لما يطرحه الواقع من إشكالات، ذلك لأن أي إصلاح مأمول إذا لم يراع هاته القاعدة كان كصيحة في وادي أو نفخة في رماد.

٣- وميزة أخرى يمكن أن يســتجليها الدارس للتراث الفكري الذي خلفه الإمام الدهلوي هي النزعة العملية الذي تميز بها عن غيره من معاصــريه، مدركا لجوهر الحضــارة الإسلامية وروحها.

٤- قامت دعوة الإمام الدهلوي على جمع شمل المسلمين، والتقريب فيما بينهم، والدعوة إلى نبذ داء التشرذم، والعصبية والتشظي التي ظهرت عند المسلمين.

٥- كما امتازت دعوة الإمام الدهلوي بسمتها الإنسانية، فقد كان متفطنا لحاجة البشرية إلى التعاون والتسامح، ونبذ العصبية، وقد برز هذا المنحى في نظريته في الارتفاقات.

٦- إن الإمام الدهلوي كان أول من ترجم معاني القرآن إلى اللغة الفارسية التي كانت هي اللغة الرسمية للهند في ذلك العهد، ففتح بصنيعه هذا الباب على من جاء بعده، حيث استنهضت الكثيرين لترجمة معاني القرآن إلى لغاتهم. وقد لفت الشاه بعمله هذا أنظار الناس أن إعجاز القرآن ليس مقتصرا على الوجوه البلاغية فقط، وإنما يشمل أيضا الجانب التشريعي، ومدى استجابته للفطرة.

ثانياً: التوصيات: وعليه يوصي الباحث بما يأتي:

١- العمل على ترجمة تراث الإمام الدهلوي كله إلى اللغة العربية، وإصداره كاملا في مجموعة واحدة، وإخراجها في حلة قشيبة تليق بمكانة الرجل الفكرية.

٢- الدعوة إلى إيقاظ الوعي الديني، وتثبيت إيمان شبابنا لمواجهة الأعاصير المادية العاتية من خلال النظر في سير هؤلاء الربانيين.

٣- يوصي الباحث بالاهتمام بموضوع أئمة التجديد في الفكر الإسلامي وإدراجه ضمن المقررات الدراسية لما بعد التدرج على الأقل.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص.

أولا / المصادر:

مؤلفات ولي الله الدهلوي، (ت١١٧٦هـ).

١- الانتباه في سلاسل أولياء الله، (ط١. الهند: مطبعة الأحمدي، ١٣١١هـ).

٢- المقالة الوضيئة في النصيحة والوصية، تر: محمد بشير السيالكوتي، وقد نشره في كتابه: الإمام المجدد المحدث – الشـاه ولي الله الدهلوي – حياته ودعوته، (ط١. بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٩م).

٣- حجة الله البالغة، تح: محمد شريف سكر، (ط ١. بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٩٠م).

٤- حجة الله البالغة، (ط بيروت: دار الثقافة، (د، ت).)

٥- حجة الله البالغة، تح: سعيد أحمد البالن بوري، (ط٣. دمشق: دار ابن كثير، ٢٠١٧).

٦- الفوز الكبير في أصول التفسير، تر: سلمان الندوي، (دون بيانات النشر).

٧- الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف، تر: عبد الوهاب فرحات بالاشتراك مع محمد شودري، (ط١. القاهرة: دار كليم، ٢٠٢٣م).

٨- التفهيمات الإلهية، (ط١،. دابهيل: منشورات المجلس العلمي ١٩٣٥م).

ثانيا /المراجع:

إقبال، (محمد، ت ١٩٣٨م).

٩- تجديد التفكير الديني في الإسـلام، ترجمة عباس محمود، (ط.بيروت: دار آسـيا ، ١٩٨٥م).

ابن الألوسي، (نعمان خير الدين، ت١٨٩٩م).

١٠- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، (ط ١ ، القاهرة: مطبعة المدني ١٩٨١ م).

البخاري، (إسماعيل، أبو عبدالله ت ٢٥٦هـ).

١١-الجامع الصحيح، تح: جماعة من العلماء، (ط١. بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).

الترمذي، (أبو عيسى محمد بن سورة، ت٢٧٩هـ).

١٢-السنن، تح: عبد الرحمن محمد عنان، (ط بيروت: دار الفكر العربي ١٩٨٣م).

الترهتي، (محسن بن يحيي، ت ١٢٨٠هـ).

١٣-اليانع الجني في أسانيد عبد الغني، تح: ولي الدين الندوي، (ط عمان: أروقة للدراسات والنشر ٢٠١٦م).

الحسني، (عبد الحي، ت١٩٢٣م).

١٤-الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، المسمّى ب"نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"، (ط.بيروت:دار ابن حزم،(د.ت)).

١٥-الثقافة الإسلامية في الهند، المسمّى ب" معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"،(ط٢.دمشق :مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق١٩٨٣م).

الخولي، (محمد عبد العزيز، ت ١٩٣١م).

١٦-تاريخ فنون الحديث النبوي، تح: محمود الأرناؤوط وآخرون، (ط١ دمشق: دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ).

درنيفة، (أحمد).

١٧-الطريقة النقشبندية وأعلامها، (ط١. طرابلس: مطبعة جروس برس١٩٨٧م).

السيالكوتي، (محمد بشير، ت ٢٠١٦م).

١٨-الإمام المجدد المحدث – الشاه ولي الله الدهلوي – حياته ودعوته، (ط١. بيروت: دار ابن حزم ،١٩٩٩م).

ابن العماد، (أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي، ١٠٨٩م).

١٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (ط.بيروت: دار الآفاق الجديدة، (د، ت)).

فرحات، (عبد الوهاب).

٢٠-أبو الحسن الشاذلي حياته ومدرسته في التصوف، (ط١. القاهرة مكتبة مدبولي ٢٠٠٣م).

الفريوائي ، (عبد الجبار).

٢١- جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة، (ط١. بنارس: مطبوعات الجامعة السلفية ،١٩٨٠م) .

القنوجي ، (صديق حسن خان ، ت ١٣٠٧هـ).

٢٢-الحطة في ذكر الصحاح الستة، (ط١. بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٨٨م).

الكتاني، (عبد الحي، ١٣٨٢هـ).

٢٣- معجم المعاجم و المشيخات و المسلسلات، تح: إحسان عباس، (ط ١ بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢ م).

مسلم، (أبو الحسين بن الحجاج القشيري، ت ٢٦١هـ).

٢٤- صحيح مسلم، (ط٢. الرياض: دار السلام، ٢٠٠٠م).

المودودي، (أبو الأعلى، ت١٩٧٩م).

٢٥- موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، ترجمة: محمد كاظم سباق، (ط١، باتنة: مكتبة الشهاب ١٩٨٨م).

الندوي، (أبو الحسن علي، ١٩٩٩م).

٢٦- رجال الفكر والدعوة في الإسلام، (الإمام الدهلوي)، (ط ١. الكويت: دار القلم ١٩٨٥م).

الندوي، (مسعود، ت ١٩٥٤م)

٢٧- تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، (ط١. بيروت: دار العربية (د،ت))، ص ١٢٩-٢٠٦.

هوفمان ، (مراد ،2020م).

٢٨- رحلة إلى مكة، (ط٢. الرياض، مكتبة العبيكان ٢٠٠٢م).

ثالثا / المقالات والدوريات:

د. فيشر.

٢٩-حركة الإصلاح في القارة الهندية تجاه الاستعمار الإنجليزي، محاضره ألقيت ضمن كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة مجموعة بحوث مؤتمر برينستوف بواشنطن ١٩٥٣ م .

الواسع، (أختر).

٣٠- الشاه ولي الله الدهلوي نابغة العصر وعبقري الزمان، مقال منشور في مقال منشور في مجلة البعث الإسلامي، الصادرة عن ندوة العلماء بالهند، (العدد٠١، المجلد ٦٨- جمادي الأولى عام ١٤٤٣هـ).

لعجال) طارق)

٣١-تجارب التأصيل في الفكر الإسلامي بجنوب آسيا – تجربة الإمام الدهلوي أنموذجا- مقال منشور، في مجلة الإسلام في آسيا ، الصادرة عن الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا – (المجلد ٠٥، العدد ٠٢، شهر ديسمبر سنة ٢٠٠٨ م).

المراجع باللغات الأجنبية:

32-Al-Ghazali، Muhammad: The Socio-Political Thought of Shah Wali Allah: (Pakistan. Islamic Research Institute Press ،2001.347p).

Sources and References

:I. Sources

A. The Holy Quran، with the narration of Hafs.

B. Works of Shah Waliullah al-Dihlawi (d. 1176 AH).

1. *Al-Intibah fi Salasil Awliya' Allah* (1st ed.، India: Al-Ahmadi Press، 1311 AH).
2. *Al-Maqala al-Wadi'a fi al-Nasiha wa al-Wasiya*، translated by Muhammad Bashir al-Sialkoti، published in his book: *Imam– Shah Waliullah al-Dihlawi – His Life and Mission* (1st ed.، Beirut: Dar Ibn Hazm، 1999).
3. *Hujjat Allah al-Baligha*، edited by Muhammad Sharif Sukkar (1st ed.، Beirut: Dar Ihya' al-'Ulum، 1990).
4. *Hujjat Allah al-Baligha* (Beirut: Dar al-Thaqafa، [n. d.]).
5. *Hujjat Allah al-Baligha*، edited by Said Ahmad al-Baln Buri (3rd ed.، Damascus: Dar Ibn Kathir، 2017).
6. *Al-Fawz al-Kabir fi Usul al-Tafseer*، translated by Salman al-Nadwi ([no publication details]).
7. *Al-Juz' al-Latif fi Tarjamat al-Abd al-Dha'if*، translated by Abdulouahab Ferhat in collaboration with Muhammad Chaudhry (1st ed.، Cairo: Dar Kaleem، 2023).
8. Al-Tafhimat al-Ilahiyya (1st ed.، Dabehel: Publications of the Scientific Council، 1935).

II. References:

Iqbal، (Muhammad).

9. *Tajdid al-Tafkeer al-Dini fi al-Islam*، translated by Abbas Mahmoud (Beirut: Dar Asia، 1985).

Ibn al-Aloosi، (Na'man Khayr al-Din).

10. *Jala' al-'Aynayn fi Mahakamat al-Ahmadayn* (1st ed.، Cairo: Al-Madani Press، 1981).

Al-Bukhari، (Ismail، Abu Abdullah).

11. *Al-Jami' al-Sahih*، edited by a group of scholars (1st ed.، Beirut: Dar Tawq al-Najat، 1422 AH).

Al-Tirmidhi، (Abu Isa Muhammad ibn Isa).

12. *Al-Sunan*، edited by Abdulrahman Muhammad Anan (Beirut: Dar al-Fikr al-Arabi، 1983).

Al-Turhati، (Muhsin ibn Yahya).

13. *Al-Yanin al-Jani fi Asanid Abdul Ghani*، edited by Wali al-Din al-Nadwi (Amman: Arooqah for Studies and Publishing، 2016).

Al-Hasani، (Abd al-Hayy).

14. *Al-I'lam bi-man fi Tarikh al-Hind min al-'Alam*، titled *Nuzhat al-Khawatir wa Bahjat al-Sam'i wa al-Nazar* (Beirut: Dar Ibn Hazm، [n. d.]).

15. *Al-Thaqafa al-Islamiyya fi al-Hind*، titled *Ma'arif al-'Awārīf fi Anwa' al-'Uloom wa al-Ma'arif* (2nd ed.، Damascus: Publications of the Arabic Language Academy، Damascus، 1983).

Al-Khuli، (Muhammad).

16. *Tarikh Funun al-Hadith al-Nabawi*، edited by Mahmoud al-Arna'ut et al. (1st ed.، Damascus: Dar Ibn Kathir، 1407 AH).

Al-Nadwi، (Masood).

17. *History of Islamic Da'wah in India* (1st ed.، Beirut: Dar Al-Arabia، n. d.)

١٨ *Al-Tariqa al-Naqshbandiyya wa 'Alamahā* (1st ed.، Tripoli: Jross Press، 1987).

Al-Sialkoti، (Muhammad Bashir).

18. *Imam Mujaddid al-Muhaddith – Shah Waliullah al-Dihlawi – His Life and Mission* (1st ed.، Beirut: Dar Ibn Hazm، 1999).

Ibn al-'Imad، (Abu al-Falah Abdul Hayy al-Hanbali).

19. *Shadharat al-Dhahab fi Akhbar man Dhahab* (Beirut: Dar al-Afaq al-Jadida، [n. d.]).

Ferhat، (Abdelouahab).

20. *Abu al-Hasan al-Shadhili: His Life and School of Thought in Sufism* (1st ed.، Cairo: Madbuli Press، 2003).

Al-Firyawi، (Abd al-Jabbar).

21. *Dedicated Efforts in Serving the Purified Sunnah* (1st ed.، Banaras: Publications of the Salafi University، 1980).

Al-Qanouji، (Siddiq Hasan Khan).

22. *Al-Hitta fi Dhikr al-Sahih al-Sitta* (1st ed.، Beirut: Dar al-Kutub al-

‘Ilmiyya، 1988).

23. Al-Kattani، (Abd al-Hayy).
24. *Mujam al-Mu'jam wa al-Mashayikh wa al-Musalsalat*، edited by Ihsan Abbas (1st ed.، Beirut: Dar al-Gharb al-Islami، 1982).

Muslim، (Abu al-Husayn ibn al-Hajjaj al-Qushayri، d. 261 AH).

25. *Sahih Muslim* (2nd ed.، Riyadh: Dar al-Salam، 2000).

Al-Maududi، (Abu al-A’la).

26. *A Brief History of Religious Renewal and Revival*، translated by Muhammad Kazim Sibaq (1st ed.، Batna: Maktabat al-Shahab، 1988).

Al-Nadwi، (Abu al-Hasan Ali، 1999).

27. *Men of Thought and Mission in Islam* (Shah Waliullah al-Dihlawi) (1st ed.، Kuwait: Dar al-Qalam، 1985).

Hoffman، (Murad).

28. *A Journey to Mecca* (2nd ed.، Riyadh: Al-Obaikan Library، 2002).

Al-Ghazali،) Muhammad).

29. The Socio-Political Thought of Shah Wali Allah: (Pakistan. Islamic Research Institute Press ،2001.347p).

III. Articles and Periodicals:

Dr. Fischer.

30. *The Reform Movement in the Indian Subcontinent Against British Colonialism*، a lecture delivered in the book *Islamic Culture and Contemporary Life*، a collection of papers from the Princeton Conference، Washington،) 1953).

Al-Wasi’، (Akhtar).

31. *Shah Waliullah al-Dihlawi: The Genius of the Era and the Genius of Time*، an article published in *Al-Ba'ath al-Islami Magazine*، issued by the Nadwat al-‘Ulama in India، Issue 1، Volume 68 – Jumada al-Awwal(1443 AH.).

Lajal (Tariq)

32. "Experiences of Rooting in Islamic Thought in South Asia – The Experience of Imam Dehlawi as a Model" – an article published in Islam in Asia Journal، issued by the International Islamic University Malaysia – (Volume 05، Issue 02، December 2008).

فهرس موضوعات البحث

الملخص..... ٢١٥١

المقدمـــة ٢١٥٣

التمهيد ٢١٦٣

المبحث الأول جهود الإمام الدهلوي الدعوية. ٢١٦٧

المطلب الأول: تجربة الإمام الدهلوي في الإصلاح والتأصيل الفكري ٢١٦٨

المطلب الثاني: الاهتمام بإصلاح العقيدة والدعوة إلى التوحيد ٢١٧٤

المطلب الثالث: فصل التقاليد والعادات عن جوهر الإسلام..... ٢١٧٦

المطلب الرابع: الجمع والتقريب بين المذاهب الإسلامية ٢١٧٨

المبحث الثاني جهود الإمام الدهلوي الإصلاحية ٢١٨٤

المطلب الأول: إصلاح المنهاج التدريسي..... ٢١٨٤

المطلب الثاني: ترجمة معاني القرآن الكريم ٢١٨٨

المطلب الثالث: الدعوة إلى التكامل بين العلوم الإسلامية ومحاربة النزعة الذرية

..... ٢١٨٩

المطلب الرابع: نظرية الارتفاقات ٢١٩١

المبحث الثالث جهود الإمام الدهلوي في فن التوجيه والتغيير ٢١٩٢

المطلب الأول: الوعظ والإرشاد والتذكير ٢١٩٢

المطلب الثاني: إحياء الربانية أو الدعوة إلى (علم الإحسان).....٢١٩٥

المطلب الثالث: التأكيد على عقيدة ختم النبوة.....٢١٩٩

الخاتمــة ٢٢٠١

المصادر والمراجع ٢٢٠٣

فهرس موضوعات البحث.....٢٢١٠